الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

## التصريح الشرفي

## الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لانجاز البحث

انا الممضي أسفله السيد : خريفي قويدر الصفة: طـــالب

الحامل لبطاقة التعريف رقم: 205060477 الصادرة عن : بلدية سيدي امحمد

بتاريخ: 2019/09/23

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث

( مذكرة ماستر ) عنوانه:

**المرجعيات الثقافية في رواية " موسم الهجرة الى الشمال " للطيب صالح**

تحت إشراف الأستاذ: شبلي خالد

**أصـــرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه ، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.**

التاريخ: ..... 25 جوان 2024 التوقيع :.....

بلدية سيدي امحمد
مصادقة البلدية
25 جوان 2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل(ط1): .....

رقم التسجيل(ط2): .....

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD، تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر.

بعنوان:

# المرجعيات الثقافية في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح

إعداد الطالب:

خريفي قويدر

أمام لجنة المناقشة:

| الرقم | الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|---|
| 1 | د / بوديسة بولنوار | أستاذ محاضر أ | جامعة المسيلة | رئيسا |
| 2 | د / شبلي خالد | أستاذ محاضر أ | جامعة المسيلة | مشرفا ومقررا |
| 3 | د / علي حويش | أستاذ محاضر أ | جامعة المسيلة | ممتحنا |

السنة الجامعية: 1445/1444هـ.2024/2023م.

# إهـداء

**إلى روح والدتي الطيبة التي لم أشبع منها رحمة الله عليها**

**إلى والدي العزيز شفاه الله وأطال في عمره و زوجته الطيبة حفظها الله**

**إلى اخي سعيد و أهل بيته**

**إلى اخواتي**

**إلى زوجتي وبناتي سندس و بسمة و يقين**

**اهدي هذا العمل المتواضع**

# شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر:
-أستاذي المشرف :شبلي خالد على توجيهاته القيمة ودعمه المتواصل.
-أسرتي الكريمة ، التي وفرت لي الدعم النفسي والمعنوي.
-أصدقائي و زملائي ، الذين شاركوني الرحلة العلمية بكل تحدياتها وأفراحها.
-كل من قدم لي يد العون و المساعدة ، فلهم مني كل الامتنان والعرفان.
وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به من يطلع عليه.

خريفي قويدر

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة :**

في زمن تتشابك فيه خيوط الثقافات، وتتلاقح فيه الأفكار، تأتي رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لتنسج من هذا التلاقح لوحة فنية تعبر عن صراع الذات بين ماضٍ عريق وحاضر متغير. يقدم الطيب صالح، بقلمه الرشيق وبصيرته الثاقبة، عملاً أدبيًا يتجاوز حدود الزمان والمكان، ليخلق بؤرة تفاعلية تعكس مرآة الروح الإنسانية في مواجهة تحديات الهوية والانتماء. هذا البحث يغوص في أعماق المرجعيات الثقافية التي تشكل نسيج الرواية، مستكشفًا الأبعاد الخفية وراء كل شخصية وحدث، ومحاولًا فك شفرات الرموز التي تحملها الرواية في طياتها.

ولعل سبب اختياري لهذا الموضوع هو شخص الطيب صالح بالذات ،هذا الروائي السوداني الذي نال لقب "عبقري الرواية العربية" من بين مئات الروائيين العرب .

تعد رواية " موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح واحدة من أكثر الأعمال الأدبية دراسةً وتحليلاً في الأدب العربي. لقد تم تناولها في العديد من الأبحاث الأكاديمية والدراسات النقدية التي تبحث في موضوعات متنوعة مثل الهوية، الاستعمار، الصراع الثقافي، والتأثيرات الأدبية ، وتُعد مثالاً بارزاً للرواية العربية الحديثة التي تتقاطع مع الأدب العالمي.لذا لم أواجه مشكلة من حيث قلة المراجع التي تخدم هذا الموضوع.

يهدف هذا البحث إلى إثبات أن المرجعيات الثقافية في الأعمال الأدبية تعكس ثقافة الكاتب وقدرته على الإبداع و التأثير، وتظهر عمق معرفته بالتراث والتفاعلات الثقافية.

وهنا خطرت في بالي الإشكالية التالية : ماذا نقصد بالمرجعية الثقافية، وما هي المرجعيات الثقافية التي اتكأ عليها الطيب صالح في روايته المشهورة " موسم الهجرة إلى الشمال " ، وهل استطاع توظيف هذه المرجعيات الثقافية وتطويعها لخدمة نصه الروائي ؟

لدراسة هذا الموضوع فرض علي اتباع المنهج النقدي الثقافي من أجل رصد المرجعيات الثقافية في الرواية و تحليل دلالاتها وتفسير أثرها على الرواية والقارئ.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة بحث مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع وملاحق وفهرس الموضوعات .

الفصل الأول خصصته للجانب النظري تناولت فيه شرح للمصطلحات المتصلة بالموضوع وهي : المرجع و المرجعية و الثقافة والمرجعية الثقافية ،وأنواع المرجعيات الثقافية.

والفصل الثاني كان للجزء التطبيقي وفيه تناولت المرجعيات الثقافية في الرواية المرجعية الدينية و المرجعية التاريخية و المرجعية الأدبية (التراث الأدبي) والمرجعية الاجتماعية والمرجعية النفسية ، وتم رصد اغلب المرجعيات الموجودة في الرواية مع تحليل الرمزية والمعاني الكامنة وراء الإشارات الثقافية.

تنتهي الدراسة بخاتمة تضم أهم الملاحظات والنتائج المتوصل إليها.وتبعتها بملحق تناولت فيه التعريف بالكاتب وبعض الأقوال عن الكاتب وروايته وملخصا للرواية ،وقد اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من المصادر والمراجع من بينها : نظرية النص الأدبي لـ عبد المالك مرتاض و مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية لـ فهد حسين، مشكلات الحضارة: شروط النهضة لـ مالك بن نبي وغيرها من المراجع و المجلات .

تعددت الدراسات حول رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" وتناولتها أقلام النقاد والباحثين لكن من جوانب مختلفة عن دراستي هذه ، فأغلبها كان حول الشرق والغرب و الأنا و الآخر والرمز والزمان والمكان والسرد، و رغم ذلك كان لا بد من الاعتماد على بعض الدراسات السابقة نذكر من بينها : المرجعية الثقافية في الخطاب الروائي في قطر روايتا( غصن أعوج )و(شو ) Shu لأحمد عبدالملك – أنموذجًا،مذكرة ماجستير لعفيفة منادي الكعبي،ومقال لعبد المنعم عجب الفيا تحت عنوان " التناصص في رواية (موسَمِ الهِجْرةِ إلى الشّمَال): واقعة أسر محمود ود أحمد نموذجاً"

وفي الأخير مع كل كلمة تُكتب وكل صفحة تُطوى في هذا البحث، أجد نفسي مدينًا بالشكر الجزيل لمشرفي الكريم الدكتور خالد شبلي، الذي كان لدعمه وإرشاده الأثر البالغ في تحقيق أهدافي. لقد كانت حكمته وخبرته بمثابة النور الذي يضيء مساري في عالم البحث العلمي. له مني كل الاحترام والتقدير على ما قدمه من وقت وجهد في سبيل إنجاح هذا العمل.

# الفصل الأول : مفهوم المرجعية الثقافية و أنواعها

1- مفهوم المرجعية

2- مفهوم الثقافة

3- مفهوم المرجعية الثقافية

4- أنواع المرجعيات الثقافية

## مفهوم المرجعية الثقافية :

المرجعية الثقافية تمثل عنصرًا مهمًا في بناء الرواية والنصوص الأدبية. يعتمد الروائي على المرجعيات لتحديد آليات ومبادئ الثقافة التي تتخذ منها النصوص شكلًا ومضمونًا يمكن أن تكون هذه المرجعيات تاريخية، دينية، فلسفية، أدبية، أو غيرها. فالنصوص الأدبية تكتنز العديد من الأنساق الدلالية التي ينبغي فك شفراتها لفهم تفكير الأمم وعاداتها وتقاليدها في مختلف المجالات.

## 1 – مفهوم المرجعية :

يعد مصطلح المرجعية مصطلحاً حديثاً في الساحة النقدية العربية شهد مفهوم المرجعية الكثير من اللبس منذ ظهوره ، ويرجع ذلك إلى طبيعته المتشعبة في مجالات عدة ،لذا نجد انه صيغ من قبل الباحثين ،كل حسب المجال الذي ينتمي إليه ، ولمقاربة هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى دلالته المعجمية والمصطلحية.

## 1– 1– المرجعية لغةً :

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (رجع) : رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انْصَرَفَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: {إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى}سورة العلق الآية 8، أَي الرُّجوعَ والمَرجِعَ، مَصْدَرٌ عَلَى فُعْلى؛ وَفِيه {إِلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً} سورة المائذة الآية 48، أَي رُجُوعكم ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ}سورة المؤمنون الآية 99-100؛ يَعْنِي الْعَبْدَ إِذا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وأَبصر وَعَرَفَ مَا كَانَ يُنْكِرُهُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ لِرَبِّهِ: ارْجِعونِ أَي رُدُّوني[1]

جاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي "رَجَعَ يَرْجِعُ رُجوعاً و مَرجِعاً، كمَنزِلٍ و مَرْجِعَةً ، شاذّان ،لأن المصادر من فَعَلَ يَفْعِلُ إنما تكون بالفتح ، ورُجْعَى و رُجْعَاناً ،بضمهما : انصرف"[2] .وفي المصيبة :" قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وراجعه الكلام:عاوده"[3]

أما في المعاجم الحديثة فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة لفظ "مَرْجِعيَّة: اسم مؤنَّث منسوب إلى مَرجِع، مصدر صناعيّ من مَرجِع :خلفيّة تاريخيّة سابقة"[4]

أما في المعجم الوسيط جاء لفظ المرجع الرُّجُوع وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز في{ إلى الله مرجعكم جَمِيعًا فينبئكم بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُون} سورة المائدة الآية 105 ، وَمحل الرُّجُوع وَالْأَصْل وأسفل الْكَتف وَمَا يرجع إِلَيْهِ فِي علم أَو أدب من عَالم أَو كتاب[5] .

يخلص مما سبق أن لفظ رجع جاء بمعنى انصرف و عاد و ردّ عند كل من ابن منظور والفيروزآبادي و عاد و رد يحملان معنى الرجوع إلى شيء سابق .

أما لفظ المرجعية لم يورد في المعاجم القديمة فهي لفظة مستحدثة حيث ذكر عبد المالك مرتاض "ان لفظ مرجع جاء من اللغة الانجليزية (referent) وهو يعني في ما معناه

1 ابن منظور ، لسان العرب ، تص أميم محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي،بيروت ، لبنان،ج5،ط3 ،1999 ،ص 148.

2 الفيروزابادي،محي الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط،تح انس محمد الشامي و زكريا جابر احمد ،دار الحديث،مصر ، (د.ط)،2008 ،ص 621.

3 المرجع نفسه ،ص 621.

4 مختار،احمد، و آخرون ،معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة –مصر ،ج2 ،ط1 ،2008،ص 863.

5 إبراهيم مصطفى وآخرون :المعجم الوسيط، ،المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا،(د.ط)، (د.ت)، ص 331 .

المعجمي :فعل او وسيلة للتمرجع ،والتموقع بالقياس إلى شيء آخر ،ولا احد يدري متى استعمل هذا المصطلح عندنا في اللغة العربية مترجما عن اللغة الانجليزية أو الفرنسية"[1]

## 1-2- المرجعية اصطلاحاً :

والمقصود به ما تواضع عليه اهل العلم في استعمالهم للفظ مرجع أو مرجعية .

لم يرد ذكر المرجعية أو المرجعيات بصيغتها المتعارف عليها حالياً لا في القرآن الكريم، ولا في السُنة النبوية، ولا يوجد هذا اللفظ في كتب اللغة القديمة ،ولكن في هذا العصر مستعمل بكثرة كقولهم : (معنى مرجعي) و(وظيفة مرجعية) و(خطأ مرجعي) و(نظرية المرجعية) و(مؤشر المرجعية) ( عملة مرجعية ) ونحو ذلك من الألفاظ المتداولة في حقل الكتابات الفكرية والأدبية وغيرها.

عرفها عبد الوهاب المسيري بقوله :" هي الفكرة الجوهرية التي تشكل أساس كل الافكار في خطاب ما"[2]

المرجعية هي الإطار الكلي و الاساسي المنهجي،المستند إلى مصادر و أدلة معينة، لتكوين معرفة ما أو إدراك ما، يبني عليه قول أو مذهب أو اتجاه يتمثل في الواقع علماً أو عملاً[3] .

كما أنّ جان ديبوا وأصحابه لا يستبعدون العلاقة بين المرجع والسياق .حيث إننا نطلق, في بعض الأطوار مفهوم المرجع على الوضع بالقياس إلى السياق الذي يُحيل عليه

1 مرتاض،عبد المالك ،نظرية النص الأدبي ،دار هومة ،الجزائر ،ط2 ،2010 ،ص 374.

2 المسيري ،عبد الوهاب ،العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ،دار الشروق، القاهرة-مصر،م2،ط2002،1،ص 453.

3 الغامدي ،سعيد بن ناصر ، المرجعية في المفهوم و المآلات، مركز صناعة الفكر للدراسات و الابحاث ،بيروت-لبنان،(د.ط)، ،2015، ص 34.

المرجع. وحينئذ ينصرف الشأن إلى وظيفة مرجعيّة؛حين تتمركز الرسالة من حول السياق[1].

ينبغي ألا يخلط بين مفهومي الإحالة والمرجع، فالإحالة هي خاصية العلامة اللسانية أو عبارة متمثلة في الإحالة على واقع. أما المرجع فهو الواقع الذي أشارت إليه الإحالة، وكثيرا ما خلط بين الإحالة والمرجع حتى صارا مترادفين[2].

نستخلص مما سبق ان مصطلح المرجعية يعني وظيفة الأشكال اللغوية في إحالة المتكلم على الواقع قصد غاية التواصل.وعلاقة مصطلح" المرجعية "بمصطلح" المرجع "تكمن في كون هذا الأخير "Référent" مرادف لمصطلح" التعيين "Dénotation"وهو تمظهر للعالم الخارجي يحيل عليه شكل لساني من خلال المرجعية أو الإحالة. ومصطلح "المرجعية "Référence" مرادف لمصطلح" الإحالة " ويقصد به إرجاع " المعاني إلى موضوعاتها[3].

## 2- تعريف الثقافة :

الثقافة مفهوم واسع ومتعدد الأبعاد، يشمل العديد من الجوانب المختلفة للمجتمعات البشرية ولمحاولة تقريب هذا المفهوم يستدعي منا أن نوضح معناها اللغوي في المعاجم لأن المعنى المعجمي –غالبا– ما يكون أساسا للمفهوم الاصطلاحي، ثم ننتقل إلى مفهومها الإصطلاحي.

1 مرتاض، عبد المالك ،المرجع السابق ، ص 383.

2 شارودو، باتريك ،دومنيك مانغنو ،معجم تحليل الخطاب ،تر عبد القادر المهيري–حمادي صمود ،المركز الوطني للترجمة،تونس ،(د.ط)،2008،ص 474.

3 بعزيز، سلاف ، التأصيل النظري لمصطلح "المرجعية" في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع 8 ، 2015 ، ص 127 .

## 2-1- الثقافة لغـــة :

جاء في جمهرة اللّغة لابن دريد :ثقف ثقفت الشَّيْء أثقفه ثقافة وثقوفة إذا حذقته وَمِنْه أخذت الثقافة بِالسَّيْفِ.وثقفت الرجل إذا ظَفرت بِهِ .وَفِي التَّنْزِيل: { فإمَّا تثقفنهم فِي الْحَرْب} سورة الأنفال الآية 57 .[1]

وعرفها الفرابي في معجم ديوان الادب بقوله : "الثَّقافَةُ: مصدرُ قولِكَ: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ، أي :حاذِقٌ خَفيفٌ. وهي الحَصافةُ، يُقالُ :رَجُلٌ حَصيفٌ أي: مُحْكَمُ العَقْلِ"[2]

وجاء في كتاب المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة :"ثقف الشَّيْءثقفا،وثقافا، وثقوفة :حذقه. وَرجل ثقف وثقف :حاذق فهم، وأتبعوه فَقَالُوا :ثقف لقف"[3].

وجاء في معجم متن اللغة " ثقف- ثقفًا وثقفًا، وثقف -ثقافة :حذق وفطن: صار فطنًا خفيفًا، فهو ثقف وثقف وثقيف وثقيف.هو ثقف لقف" على الأتباع :"سريع التعلم، والثقافة :أصل، معناها الحذق والفطنة. وخصت عند أهل العصر بالتربية التي تنمو بها أساليب التفكر والعمل بما يلائم الزمان والمكان[4].

أما عند الغرب فتعود جذور كلمة «Culture» إلى اللفظ اللاتيني «Culture» الذي يعني حرث الأرض وزراعتها وفي عصر النهضة اقتصر مفهوم «Culture» على مدلوله الفني والأدبي، فتمثل في دراسات تتناول التربية والإبداع[5]

---

1 ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن ، جمهرة اللغة ،تح رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين،بيروت-لبنان ج1 ،ط1 ،1987 ،ص 429.

2 الفارابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب ،تح أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة،ج2، ط1 ،2003 ،ص 275.

3 ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم،تح عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ج6،ط1 ،2000،ص 356.

4 رضا ،احمد ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة – بيروت ،م1،(د.ط)،1958 ،ص 440 و441 .

5 عارف ، نصر محمد ،الحضارة-الثقافة-المدنية ،دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،فيرجينيا،الولايات المتحدة الامريكية ،ط2 ،1994، ص 22 .

## 2-2- الثقافة اصطلاحاً :

لقد تعددت تعاريف ومفاهيم الثقافة بحسب الأيديولوجيات والتوجهات والتخصصات والمجالات التي يشتغل فيها المعنيون بالثقافة ،لذا تطرقنا إلى بعض من أهم التعريفات لدى علماء العرب و الغرب من أجل الإلمام بماهـية هذا المصطـلح وفيما يلـي نذكر اهم التعريفات:

يعد ابن خلدون أول من استعمل لفظة الثقافة عند العرب وقد وظفه في نقده للترف الذي يعتبره داء العمران البشري؛ فكشف زيف الادعاء الثقافي الذي يحاول من خلاله المترفون خداع البسطاء من الناس والتمويه عليهم، كما يموهون عليهم بالهيئة الفخمة واللباس الحسن وركوب الخيل، ليظهروا أنفسهم بمظهر الهيبة وهم ضعفاء، وبمظهر الشجاعة وهم جبناء، وبمظهر العلم وهم جهل[1].

عرفها مالك بن نبي على أنها : "مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا هى المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"[2] .

وعرفها إدوارد بارنات تايلور (Edward Burnett Tylor) بأنها الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع[3]

1 ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تح عبدالله محمد الدويش، دار يعرب ـ دمشق،سوريا،ج1 ،ط1، 2004م ،ص 333.

2 ابن نبي ، مالك ، مشكلات الحضارة: شروط النهضة ،تر عبد الصبور شاهين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،لبنان (د.ط )،2012م ،ص 76و77.

3 كوش ،دنيس ،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،تر منير السعيداني ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت–لبنان ،ط1 ،2007م،ص 31.

عرفها ك. رايت Quincy Wright على أنها النمو التراكمي للتقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشعوب يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفراده، وينتقل هذا النمو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الأباء وعبر العمليات التربوية[1].

وهناك تعريف إدوارد هيريو E. HERRIOT الذي نال قسطا وافرا من الشهرة والقائل إن الثقافة هي ما يبقى في ذاكرتنا عندما ننسى كل شيء[2].

ونظرا لكثرة التعاريف التي صيغت حول الثقافة بشكل يصعب حصرها فإن ما ذكرناه سابقًا يعد من أكثر التعاريف منطقية، كونها لامست مفهوم الثقافة، وتناولت خصائصها الكلية والمركبة وذات الارتباط بالمجتمع والأنماط والتركيبات المختلفة، لذلك فالثقافة عنصر مهم من عناصر التكوين الإنساني والمجتمعي.

فالثقافة إذن تعاضد بين الفرد والجماعة، تعاضد بين تلك العمليات الذهنية الخاصة والعمليات المشتركة، بين جماعة من النّاس تربط بينهم عادات وتقاليد، سلوكيات حضارة أمة بأسرها، معتقدات وأعراف ... يُعبّر عنها كمعارف مستقاة من المجتمع، تساهم في تكوين وعي للأجيال، ومعارفهم في مجال ما من مجالات الحياة، وما تشكله من رواسب في أذهانهم باعتبارها الخزان المشترك بين جماعة من النّاس.

## 3-المرجعية الثقافية :

ومما سبق نستخلص أن المرجعية الثقافية هي مزيج مركب بين الثقافة والمرجعية، والتي تعني استقدام أو استخدام إحدى الروافد الثقافية وتوظيفها في النص الذي يستعمله المبدع، ويمزج في عمله هذه الروافد لتشكل له نصاً إبداعياً مليء بالعلوم والثقافات، فتترك في نصه أو عمله جمالية تحسب له، والمرجعيات الثقافية في حلتها تجمع بين عدة

1 زيادة ، معن ، معالم على تحديث الفكر العربي،عالم المعرفة ،الكويت ، د ط ،1987م، ص 34.

2 زيادة ، معن ،المرجع السابق ،ص 36 .

مرجعيات متنوعة مثل التاريخ والتراث والدين والفلسفة والسياسة وغيرها، وبذلك تكون المرجعيات الثقافية مختلفة يستخدمها الكاتب في نصه كلها أو يستحضر بعضها .

فالمرجعية هي وظيفة فنية وإيديولوجية، والثقافة هي مجموعة الممارسات التي يشترك فيها أفراد المجتمع والمثقف ما هو إلى طرف فيها، فيعتمد على مرجعيات ثقافية مختلفة ومتعددة ليؤلف إنتاجات أدبية تندرج ضمن خصوصية ثقافية معينة بهوية خاصة.

## 4-أنواع المرجعيات الثقافية

### 4-1-المرجعية التاريخية:

المقصود بالمرجعية التاريخية تلك الوقائع التاريخية، أو شخصيات فاعلة في عصرها تركت بصمتها في التاريخ التي يستنجد بها الكاتب في عمله الادبي لكن يفرض في نقلها أن لا يصور تجربة هذا الرجل أو ذاك كما وقعت في التاريخ وإنما يصور تجربة كل رجل تحيط به نفس الظروف التي أحاطت بهذا الرجل التاريخي أو ذاك، بحيث تصبح قصة إنسانية عامة يستطيع كل فرد أن يتصور فيها نفسه، أو نفس غيره إذا اتفقت الملابسات[1] .

إلا أن بول ريكور لا ينفي مقولة الحقيقة التاريخية التي تميز السردية التاريخية عن العمل الأدبي يختلف النصان الأدبي والتاريخي في طبيعة العقد القائم بين المؤلف والقارئ؛ ففي العمل الأدبي يقبل القارئ مسبقا تصرف المؤلف في تشكيل الواقع المتخيل، في حين يتوقع القارئ من المؤرخ سرد أحداث تمت بالفعل في الماضي.[2]

وهذا ما جعل الروائيين ينكبون على التاريخ لبعثه من جديد، وكشف حقائقه المسكوت عنها وصياغتها في تشكيل أدبي فني ذو أبعاد تاريخية، و الكشف عن المعالم التاريخية داخل العمل الأدبي، يكون عبر مجموعة من الرموز، مثل الأسماء التاريخية أو الأماكن أو الأحداث، أو الإشارة إلى حقبة زمنية معينة.

فالاعتماد على التاريخ من أجل خلق عوالم سردية متخيلة جعل الروايات الحديثة تستهدف قراءة التاريخ ونقده وتعديله أحيانا بما يتماشى مع إيديولوجية الكاتب ونظرته للتاريخ، مما يؤدي إلى نوع من التنافر والصراع . إن هذا التكامل يضمحل أحيانا حين

---

1 خلوفة ،عبد العزيز، نظرية الادب عند محمد مندور، مجلة جيل الدراسات الادبية و الفكرية ،لبنان،ع1 ،2013،ص 45.

2 ولد أباه،عبد الله السيد، التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور :الهوية السردية والذاكرة الحية، مجلة يتفكرون،الرباط،ع3، 2014،ص21.

تنهض العلاقة بين الروائي والتاريخي على النفي المتبادل. وهنا يقوم الخطاب على مراوحة بين القطبين: فالروائي يبسط نفوذه ويغيب التاريخي، والتاريخ بدوره يحد من غلواء الرواية وينفرد بالساحة النصية ، إذ تتملص الرواية من التاريخ حين ترسم لنفسها مسار شخصياتها في عوالمها المتخيلة وينأى التاريخ بنفسه هو الآخر عن الرواية حين يوضع في مقام نقل الوقائع والإخبار بها بالشكل الذي وردت به في الكتب التاريخية.[1]

## 4-2-المرجعية الدينية :

تعد المرجعية الدينية من أكثر المرجعيات الثقافية حضوراً في الثقافة العربية والإسلامية ، لما تحمله من روح معنوية وفكرية في تشكيل النص والإسهام في بلوغ النص غايته المنشودة وهي إقناع المتلقي و اعجابه، وتمد المبدع بثراء فكري يوسع به مداركه ويقوي به حججه .

فالمرجعية الدينية تشمل الاقتباس بنوعيه المباشر و غير المباشر من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية، أو ذكر أماكن تدل على تعدد الديانات (المسجد الكنيسة، مكة، المدينة... إلخ)، أو عبر إعطاء أدوار لشخصيات من مثل (الإمام القس الراهبة، الناسك...) ومن شأن هذا أن يبرز الصراع القائم بين الديانات والاختلافات فيما بينها، وإظهار ديانة شعب ما من الشعوب.

فالمرجعية الدينية لها أبعاد جمالية ودلالية ، متميزة، مليئة بالإيحاءات والأفكار التي تمنح فوائد داخل النص الأدبي، مما ينتج هيمنة قوية وسلطة تأثير عجيبة ينتقل فيها الخطاب إلى رؤية يقينية كما يثري النص ويمنحه قيمة وفاعلية في نفوس المتلقين لتكوّن مرجعية من المرجعيات التي قد يرتكز عليها الكاتب.

---

1 بوكرت،أمال ،المرجعيات الثقافيّة في روايات' عز الدين جلاوجي" نماذج مختارة،المدونة مجلّة علمية، كلية الآداب واللغات،جامعة البليدة 2،ع2، 2023،ص 413.

## 4-3-المرجعية الاجتماعية :

ربما من أكثر الأمور التي نوقشت حول الرواية في طور نشأتها كانت حول علاقتها بالمجتمع والواقع المعيش، ففي حين تَصَدّي بعض النظريات النقدية لهذه العلاقة والاكتفاء بفكرة انغلاق النص الأدبي باعتباره بناء منغلقًا على ذاته بعيدًا عن السياقات الخارجية، تمكنت أخرى من تأكيد هذه العلاقة بينه وبين السياق الاجتماعي بشكل خاص[1] .

فالمرجعية الاجتماعية إذاً هي تلك التجارب الاجتماعية التي يتم نقلها إلى عالم الأدب من خلال الملاحظة والخيال. يمكن أن تكون الوقائع الاجتماعية مصدرًا للأدب. وقد يكون الأديب الذي يعمل على تصوير هذه التجارب قد عايشها، وقد يكون أيضًا قادرًا على تخيل الواقع وتجسيده بطريقة تبرز الحقيقة بقوتها.

فالكاتب لا يعتبر سوى مرآة تعكس أفكار واهتمامات أهل عصره، بل أحيانا لا تعكس سوى أفكار واهتمامات مجموعة ضيقة وهي المجموعة التي ينتمي إليها، سواء كانت أسرة أم حزبا أم غير ذلك.

1 الكعبي ،عفيفة منادي ، المرجعية الثقافية في الخطاب الروائي في قطر روايتا( غصن أعوج )و(شو ) Shu لأحمد عبدالملك – أنموذجًا،مذكرة ماجستير،جامعة قطر،كلية الآداب والعلوم،2020،ص 47.

## 4-4-المرجعية الأدبية ( التراث الادبي) :

منذ القدم، أظهر التراث حضوره في أعمال الأدباء، نتيجة لتمسكهم بالاعتراف بمخزوناتهم الثقافية التراثية. يعكس هذا التراث هوياتهم وأصالتهم، ويستمد من تاريخ الحضارة العربية العريقة. يترافق استخدام هذا المخزون مع دلالات ومرجعيات محددة، يتعامل بها الروائي حسب طبيعة أعماله الأدبية واهتمام الجمهور المستهدف. ولا يقتصر هذا الاستحضار على فترة زمنية معينة، "استحضار التراث الأدبي يتنوع في أشكاله، سواء كان ذلك في الأدب الشعبي أو الأدب الرسمي، سواء كان عالميًا أم عربيًا. يشمل هذا التراث الشعر، الملحمة، الأغاني الشعبية، الحكايات الشعبية، الأمثال والحكم. تمثل هذه العناصر ملمحًا بارزًا في الرواية، سواء على مستوى الموضوع أو الشخصيات الأدبية. تتميز هذه العناصر بكثافة دلالية وفكرية وموضوعية عالية، مما يجعل الاعتماد على حقل التراث أمرًا يحتاج إلى نظر نقدي. يتعين على الكتّاب اختيار العناصر التي تصلح لتكون شواهد قادرة على التجدد والتموضع في خطابات جديدة. من خلال اختيار العناصر المناسبة، يمكن للكتّاب تعزيز فكرتهم ونقلها بشكل ملائم إلى القرّاء.فني وجمالي وثقافي عليها.

تتجلى المرجعية الاجتماعية في الخطاب الأدبي من خلال استناد الكتّاب إلى شخصيات اجتماعية أو ذوات توجهات اجتماعية. كما يظهر ذلك من خلال مناقشة أحداث وقضايا اجتماعية. يشمل هذا الاستناد أيضًا العادات والتقاليد والأعراف، والطبقات والقيم، والصراعات الاجتماعية. حتى عنصري الزمان والمكان يلعبان دورًا مهمًا عندما يرتبطان بدلالات ذات أبعاد اجتماعية متعارف عليها في مجتمعات معينة. يعد هذا الحقل جزءًا أساسيًا من الأدب والتفاعل الثقافي. فهي تعكس التفاعل المستمر بين الأدب والمجتمع، حيث يعكف الكتّاب على استكشاف وتصوير العلاقات الاجتماعية والتحولات الثقافية. يمكن أن يكون هذا الاستناد إلى العناصر الاجتماعية مفيدًا في فهم النصوص الأدبية وتحليلها.

## 4-5-المرجعية الفلسفية :

يُجمع المشتغلون بحقل الفلسفة على الجدلية القائمة في تحديد العلاقة بين الفلسفة والأدب إن كانت علاقة تجاذب أو علاقة تنافر، فقد أورد رواد الفلاسفة جمع الفلسفة بالأدب الذي يتعلق بكل ما هو عاطفي وفني جمالي وبالموازاة مع ذلك تولي الفلسفة كل الأهمية لفعالية ورجاحة العقل في التدبر والتفكر في الكون وفهم أسراره عكس المؤلف المبدع .

يجب أن يكون هناك انفتاح على الأبعاد الفلسفية في الخطاب الأدبي، حيث تُثري الرؤى الفلسفية النصوص. يمكن للفلسفة أن تظهر في الأدب من خلال استحضار الفلاسفة وموضوعات فلسفية ، وكذلك من خلال مناقشة القضايا التي يثيرها الأدب ، فالفلسفة لا تقتصر على استحضار آراء الفلاسفة أو توظيف أفكارهم فحسب، بل تتجلى أيضًا في طرح القضايا بأسلوب فلسفي. يساعد هذا النهج في توجيه الانتباه نحو توصيف حقائق عميقة في العالم، وإضفاء نوع من النظام على الفوضى المعقدة التي تحيط بنا. يعد الحقل الفلسفي مرجعًا غنيًا ومفيدًا لكتّاب الرواية، حيث يرفع من قيمة العمق الفكري للأعمال الروائية. يمكن للكتّاب أن يستندوا إلى الفلسفة بوعي، دون إقصاء سمات الإبداع الروائي"[1].

## 4-6-المرجعية الأسطورية :

المرجعية الأسطورية في الأدب تعني استلهام الأساطير والخرافات القديمة لإضفاء عمق وغنى على النصوص الأدبية. تتجلى هذه المرجعية في استخدام الشخصيات الأسطورية، الأحداث الخارقة للطبيعة، والرموز التي تحمل دلالات ثقافية وروحية عميقة. يستعين الكتاب بالأساطير لتوسيع آفاق القصة وإثراء السياق الثقافي للعمل الأدبي.

1 الكعبي،عفيفة منادي ،المرجع السابق ،ص 56.

على سبيل المثال، قد يستخدم الكاتب شخصية مثل هرقل ليس فقط كبطل مغوار بل كرمز للقوة الإنسانية والإرادة. كما يمكن أن تظهر الأساطير في الأدب عبر الأماكن الأسطورية مثل جبل أوليمبوس، الذي يمثل مكاناً للآلهة والقوى العليا.

الأساطير تقدم أيضاً نماذج للصراعات الأخلاقية والوجودية التي يواجهها الإنسان، مثل الصراع بين الخير والشر، أو البحث عن الخلود. يمكن للأدب أن يعيد صياغة هذه الأساطير ليعكس قضايا معاصرة، مما يجعلها ذات صلة بالقارئ الحديث ،ففكرة أن الأسطورة كاللغة في تقديم المعنى بكونها مرتبطة بما يقابلها كان لها صداها في كتابات دي سوسير عن المفاهيم التي ليس لها أي معنى في حد ذاتها ولكنها ستكون مختلفة بأشكال مماثلة في جميع الحضارات وفي جميع العصور ومن ثم ستكون عالمية . فأبطال الأساطير كما يقترح أتباع يانج تعد نماذج أصلية – وهو سبب آخر يجعلها تتماثل في طبيعتها.[1]

إضافة إلى ذلك، تساعد الأساطير في بناء عوالم خيالية معقدة ومفصلة، حيث يمكن للكاتب أن يخلق كوناً كاملاً بقوانينه وتاريخه الخاص. هذه العوالم تكون غنية بالتفاصيل وتسمح بالهروب من الواقع إلى مكان يسوده العجائب والمغامرات.

في النهاية، المرجعية الأسطورية تعطي الأدب بُعداً زمنياً يتجاوز الحاضر، وتربط القصص الحديثة بالتراث الإنساني العريق. تمنح القصص والشخصيات طابعاً أزلياً، وتجعل من الأدب جسراً يصل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

1 أيزابرجر،أرثر،النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ،تر وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي ،المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة مصر،ط1، 2003،ص 177.

## 4-7-المرجعية النفسية :

علم النفس والأدب يتشاركان في تحليل السلوك الإنساني والتجربة الوجدانية. يُقدم علم النفس أدوات لفهم الشخصيات الأدبية بعمق، مُسلطًا الضوء على دوافعهم وصراعاتهم الداخلية.

يستخدم الأدب التحليل النفسي لاستكشاف اللاوعي المكبوتة للشخصيات. يُعتبر الأدب وسيلة للتعبير عن الحالات النفسية المعقدة والمشاعر الإنسانية. والرغبات يُظهر كيف يمكن للأدب أن يُساعد في التطور الشخصي والنمو العاطفي. يُبرز الأدب الصراعات النفسية ويُقدم نظرة ثاقبة على الحالة البشرية.

يُساعد علم النفس في تحليل النصوص الأدبية، مُقدمًا تفسيرات للسلوكيات والمواقف.و يُعتبر الأدب مرآة للمجتمع، مُظهرًا كيف تُؤثر العوامل الثقافية والاجتماعية على الفرد. يُساهم علم النفس في فهم الأثر العلاجي للكتابة والقراءة. يُستخدم الأدب لاستكشاف الأمراض النفسية وطرق التعامل معها.كما يُظهر كيف يمكن للأدب أن يُعزز الوعي الذاتي والتفهم للآخرين.وبذلك يُساهم علم النفس في تطوير النقد الأدبي، مُقدمًا أبعادًا جديدة للتحليل. يُعتبر الأدب وسيلة لاستكشاف الهوية الشخصية والجماعية. يُساعد علم النفس في تفسير الرموز والموتيفات الأدبية. وأخيرًا، يُعتبر الأدب وعلم النفس مجالين متداخلين يُثريان بعضهما البعض، مُقدمين فهمًا أعمق للتجربة الإنسانية.[1]

المرجعية النفسية تظهر في الأعمال الأدبية من خلال تصوير الشخصيات والمواقف التي تعكس التعقيدات النفسية للإنسان. يستخدم الكتاب عناصر مثل الحوار الداخلي، الصراعات النفسية، والتطور العاطفي للشخصيات لاستكشاف موضوعات مثل

1 أيزابرجر،أرثر ،المرجع السابق ،ص 188.

الهويـة، الـدوافع، والعلاقـات الإنسـانية. كمـا يمكـن أن تظهـر مـن خـلال الرمزيـة والأحـلام والخيـالات التـي تعبر عن اللاوعـي. الأدب يمكـن أن يكـون مرآة للنفس البشرية، مما يسمح للقراء بالتفكير في تجاربهم الخاصة ومشاعرهم.

## الفصل الثاني : أنواع المرجعيات الثقافية في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال "

1- المرجعية الدينية

2-المرجعية التاريخية

3-المرجعية الأدبية ( التراث الأدبي )

4-المرجعية الاجتماعية

5-المرجعية النفسية

## 1-المرجعية الدينية :

لا أحد يختلف أن الدين السماوي أو الدين الوضعي لديه مادة غنية وعميقة معرفيا وفلسفيا وثقافيًا لتكون مرجعية من المرجعيات التي قد يرتكز عليها الكتّاب، فالدين هو أحد منابع الثقافة والمرجعية التي يلجأ إليها بعض الكتاب حينما يفكرون في كتابة نص ما تبعًا لمجموعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها هذا الكاتب أو ذاك[1].

حضر النص القرآني في الرواية أربع مرات، إحداها على لسان الرواي وهو يصف طول رحلته من القرية إلى العاصمة حتى أدركهم الليل فيتوقفون أحيانا وأحيانا يسرون بالليل ما طاب لهم ... "وحين يبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود"[2]، هذه جزء من آية في سورة البقرة: {..وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر...}[3]

وجاءت الحالة الثانية على لسان ود الريس وهو يحتج ليبرر كثرة زواجه وطلاقه في قوله: "خذوهن بإحسان أو فارقوهن بإحسان"[4] وهي من الآية الكريمة {فإذا بلغن أجلهنَّ فأمسكوهنّ بمعروف أو فارقوهن بمعروف}[5] .

وأما الحالة الثالثة جاءت أيضا بلسان ود الريس تحريفا ليبرر حبه الشديد للنساء بقوله "النسوان والبنون زينة الحياة الدنيا"[6] فهي من الآية:{المال والبنون زينة الحياة الدنيا}[7] .

---

1 حسين،فهد ،مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية ،بيت الغشام للصحافة و النشر والترجمة،سلطنة عمان ،ط1 ،2016،ص 112.

2 صالح ،الطيب، موسم الهجرة الى الشمال ،دار العودة ، بيروت،ط 14، 1987،ص 66.

3 البقرة ، الآية :187.

4 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 81.

5 الطلاق ، الآية :02.

6 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 82.

7 الكهف ،الآية :46.

والحالة الرابعة وردت على لسان ود الريس أيضا عندما حاول الراوي الدفاع عن حق حسنة بنت محمود أرملة مصطفى سعيد في الاختيار بين الزواج وعدمه، فرد ود الريس بأن البلد هنا فيه "الرجال قوامون على النساء"[1]، وهذا جزء من الآية التي تقول: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ "[2] ، وهنا يبين لنا الكاتب ثقافة المجتمع القروي السوداني في طريقة الاختيار للزواج حيث أن البنت لا رأي لها ولا يهم قبولها او رفضها والأمر كله يعود لأبيها وإخوتها.

ونظراً لأهمية الحديث النبوي في منظومة الثقافة الإسلامية كان له حظوراً ولو في حالة واحدة على لسان الراوي أثناء سفر مرهق بالسيارة في قوله: "كالمنبت لا ظهر أبقى ولا أرض قطع"[3] وهذه العبارة مأخوذة من حديث ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وله عدة روايات منها ما جاء في كتاب الأمثال في الحديث النبوي لأبِي الشيخ الأصبهاني : " إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى"[4] ،ويقال للرجل إذا انقَطع به في سفره وعطبت راحلته: قد انبت، يريد أنه بقى في طريقه عاجزًا عن مقصده لم يقض وطره، وقد أعطب ظهره.ومعناه ايضا الحَثَّ على العمل والرِّفق بالنفس فلا يجهد الإنسان نفسهُ في العبادة؛ لِأن لا يَنْقَطع ويمل فعليهِ أنهُ يقتصد في العبادة ويرفق بنفسهِ ليكون هذا ادعى للاستمرار ويكون هذا أيضًا أوفر للراحة وأشد راحةً للنفس فالذي يشتد على نفسهِ بالعبادة قد يمل ويترك العبادة.

---

1 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 101.

2 النساء،الآية :34.

3 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 112.

4 الأصبهاني، أبِي الشيخ، كتاب الأمثال في الحديث النبوي،تح عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية – بومباي – الهند،ط2 ،1987،ص 269.

وفيما يخص العادات و العبادات فقد وردت في الكثير من المواقف من بينها قول الراوي عن والده " ... وفرغ أبي من صلاته وأوراده"[1] يعني ان والده من عائلة ملتزمة بدينها .وكذلك وصف مصطفى سعيد لجد الراوي " ويمشي من بيته للمسجد في الفجر"[2]. وقول الراوي " ووصلت عند بيت جدي فسمعته يتلو أوراده استعداداً لصلاة الصبح "[3] و " تخيلت جدي جالساً على فروة صلاته وفي يده مسبحته من خشب الصندل"[4] والكاتب هنا يريد أن يظهر لنا مدى التزام عائلة الراوي بدينها وتشبثها به .

ولما سأل الراوي جده عن مصطفى سعيد قال الجد "مصطفى طول إقامته في البلد ، لم يبدو منه شيء منفر ، وأنه يحضر صلاة الجمعة في المسجد بانتظام"[5]، فالصلاة في المسجد بانتظام دليل على استقامة الشخص في نظر المسلمين وصلاة الجماعة عند المسلمين مظهر اجتماعي يعزز علاقات التعاون و المحبة والتضامن والأخوة في الله.

وجاء في قوله : " ..وأخذتني سنة من النوم . وحلمت أنني أصلي وحدي في جامع القلعة . كان المسجد مضاء بآلاف الشمعدانات ، والرخام الأحمر يتوهج ، وأنا وحدي أصلي"[6] . ونلاحظ هنا أن مصطفى سعيد اقتبس عبارة " سنة من النوم" من آية الكرسي وذكره لعبارات "أصلي ،جامع ،المسجد " فرغم بعد مصطفى سعيد عن بلده وشعوره بالغربة فهاهو يستأنس بدينه في ظل شعوره بالوحدة .

وتظهر الثقافة الدينية للكاتب من خلال كثرة استعماله لبعض العبارات كالاستغفار على لسان أغلب شخصياته الروائية "... ومسحوا الدموع من أعينهم ، – وقال جدي : ( أستغفر

---

1 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 6.
2 المصدر نفسه ،ص 14.
3 نفسه ، ص 52.
4 نفسه ، ص 75.
5 نفسه ، ص 10.
6 نفسه ،ص 32.

الله العظيم وأتوب إليه) .وقالت بنت مجذوب : و استغفر الله . والله ضحكتونا ياجماعة اللهم اجمعنا ثانية في ساعة خير ) .وقال بكري : ( استغفر الله . اللهم اغفر لنا وارزقنا حسن الختام ) .وقال ود الريس : ( استغفر الله العظيم . أيام نقضيها على وجه الارض وبعدها ربنا يفعل فينا ما يشاء ) "[1] فبعد ما دار بينهم من حوار خافوا من أن يكونوا قد زلوا او أخطئوا فاستغفروا ربهم لأن الاستغفار من دعاء كفارة المجلس.

و ورد الاستغفار أيضا على لسان ام مجذوب عند مشاهدتها لجثتي حسنة بنت محمود و ود الريس فقالت :"استغفر الله العظيم و أتوب إليه"[2] وقوله أيضا " ..لا يفرحون لمولد ولا يحزنون لموت ،حين يضحكون يقولون :استغفر الله ،وحين يبكون يقولون : استغفر الله "[3] فمن لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

وفي قول محجوب للراوي: "... مصطفى سعيد هو في الحقيقة نبي الله الخضر. يظهر فجأة ويغيب فجأة . والكنوز التي في هذه الغرفة هي كنوز الملك سليمان حملها الجان إلى هنا "[4] شبه محجوب مصطفى سعيد بالخضر تلك الشخصية الغامضة في عالمنا الإسلامي والذي فيه اختلاف كبير فهناك من يقول أنه رجل صالح وهناك من يقول أنه نبي فلا احد يعرف حقيقة مصطفى سعيد ، وقال عن غرفته المغلقة بأنها مليئة بكنوز النبي سليمان عليه السلام الذي يعمل الجن تحت امرته .وهنا تظهر ثقافة محجوب الدينية ومعرفته بقصص القرآن رغم محدودية دراسته.

هذا فيما يخص الدين الإسلامي أما فيما يخص الديانة المسيحية فقد ورد ما يدل عليها ( الكنيسة،القس،الصليب، مدرسة راهبات) ولعل العبارة الأوضح كانت قول إيزابيلا

---

1 المصدر السابق ، ص 88.

2 المصدر نفسه ، ص 128.

3 نفسه ، ص 131.

4 نفسه ، ص 110.

سيمور لمصطفى سعيد : ( المسيحيون يقولون أن إلههم صُلب ليحمل وزر خطاياهم )[1] وكلمة يقولون تدل على عدم الاقتناع وقولها ( إذا كان في السماء إله ، فأنا متأكدة أنه سينظر بعين العطف إلى طيش امرأة مسكينة لم تستطع أن تمنع السعادة من دخول قلبها)[2] وعبارة (إذا كان) تدل على عدم التأكد حيث يريد الكاتب أن يظهر لنا مدى وهن الديانة المسيحية .

يظهر أن مستر روبنسن و آن همند تأثرا بدراستهما للغات الشرقية ومعرفتهما ثقافة تلك الشعوب و دخلا في الاسلام كما جاء في كلام والد آن همند " ... أن ابنته وقعت تحت تأثير الفلسفات الشرقية في أكسفورد ، وكانت مترددة بين اعتناق البوذية أو الإسلام "[3]ورسالة مسز روبنسن للراوي " زوجها مات بالتايفوئيد ودفن في القاهرة في مقبرة الإمام الشافعي . نعم ، اعتنق الإسلام "[4] فالغرب يحتقر الإنسان الشرقي و الافريقي ولا يهتم بثقافة تلك الشعوب .ولو تنازل عن كبريائه واطلع على الإسلام لربما غير تلك النظرة الزائفة التي شوه بها العالم الإسلامي .

وعندما وصف الراوي جده قال :"ووصلت عند بيت جدي فسمعته يتلو أوراده استعداداً لصلاة الصبح . ألا ينام أبداً ؟ صوت جدي يصل ، كان آخر صوت أسمعه قبل أن أنام وأول صوت أسمعه حين أستيقظ . وهو على هذه الحال لا أدري كم من السنين كأنه شيء ثابت وسط عالم متحرك "[5] يريد الكاتب هنا أن يركز على ثبات الجد على الدين الإسلامي رغم تعاقب السنين والأحداث التي مر بها السودان من استعمار بريطاني و فرنسي وايطالي وحملات التبشير و الاستعمار الثقافي ، كل ذلك لم يستطع نزع الدين

---

1 المصدر السابق ، ص 111.

2 المصدر نفسه ، ص 141.

3 نفسه ، ص 72.

4 نفسه ، ص 114.

5 نفسه ،ص 52.

الإسلامي من شعب السودان ، في حين أن الديانة المسيحية في الغرب تتراجع بسبب تغلب المادية فيه على الدين .

## 2-المرجعية التاريخية:

لطالما شكلت علاقة الرواية بالتاريخ إشكالية دار حولها جدل كبير بين الدارسين، إذ كثرت الروايات التي استلهمت من التاريخ واتخذت من مادته أرضية خصبة لبنائها ودعم موضوعها، مما يوطد العلاقة بين التاريخ والرواية .

ومن النماذج التي تشكّل خلفيّة لإضاءة النّص، والكشف عن بعض مرجعياته التاريخيّة، استدعاء المؤلف لقصيدة من قصائد الحرب العالمية الأول وهي قصيدة "انتويرب" Antiwerp للشاعر فورد مادوكس هويفر أحد جنود الحرب العالميّة الأولى.

حين ردد مصطفى سعيد شعراً انكليزياً وهو مخمور في مجلسه مع الراوي ومحجوب قال:

هؤلاء نساء فلاندرز ينتظرن الضائعين ،

ينتظرن الضائعين الذين أبداً لن يغادروا الميناء ،

ينتظرن الضائعين الذين أبداً لن يجيء بهم القطار ،

إلى أحضان هؤلاء النسوة ، ذوات الوجوه الميتة ،

ينتظرن الضائعين الذين يرقدون موتى في الخندق والحاجز والطين في ظلام الليل.

هذه محطة تشارنغ كروس . الساعة جاوزت الواحدة.

ثمة ضوء ضئيل

ثمة ألم عظيم ،[1]

والقصيدة المعنية كان قد نظمها هذا الشاعر في تصوير حصار مدينة " أنتويرب " البلجيكية الساحلية وسقوطها في أيدي القوات الألمانية بتاريخ 9 أكتوبر 1914م في أوائل الحرب العالمية الأولي, وذلك بعد أن دافعت عنها قوات بريطانية وبلجيكية دفاعاً مريراً باسلاً, سقط من جرائه الكثيرين من أفراد تلك القوات صرعي, وهم, هم أنفسهم " الضائعون "

1 المصدر السابق ، ص 17 و 18.

الذين لم يأتي بهم القطار, والذين كانت تنتظرهم أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم من نساء فلاندرز في محطة تشارينغ كروس بلندن علي أحر من الجمر [1].

اختيار الكاتب لوالدي آن همند لم يكن عبثاً " أبوها ضابط في سلاح المهندسين ، وأمها من العوائل الثرية في لفربول" فهي ابنة ضابط في الجيش في إشارة للاحتلال العسكري، وأمها تنتمي إلى إحدى العوائل الثرية، في إشارة إلى أن ثراء الشمال كان دائما بإفقار الجنوب ..

قول مصطفى سعيد "إنني أسمع في هذه المحكمة صليل سيوف الرومان في قرطاجة "كانت قرطاجة تمثل الخطر الأكبر على روما . فكان تدميرها امرا لا بد منه لأنها باتت قوة بحرية ووسّعت نفوذها من إسبانيا إلى قبرص، حتى أصبحت إمبراطورية بحرية حقيقية واتحادا اقتصاديا ،فحاصرها الرومان ثلاث سنوات وبعد إنهاك القرطاجيين هاجموا عام 146 ق.م .المدينة,فنهبوها وأشعلوا فيها النيران ,وسويت مبانيها بالأرض ، واختفت قرطاجة من الوجود تماما[2] ، كان من المعتاد نهب مدن العدو بعد الاستيلاء عليها، وكان الاستيلاء على قرطاج مأساة ومشهدا مروعا، فقد استُعبد سكانها أو أُبيدوا، وقد أُحرق أرشيفها ودمرت مكتبتها العظيمة.

"وقعقعة سنابك خيل اللنبى وهي تطأ أرض القدس".وكأن الكاتب استرجع هنا لحظة سقوط القدس على يد الجنرال إدموند ألنبي في يوم 11 ديسمبر 1917 والتي كانت امتداداً للحملات الصليبية على العالم الإسلامي .

---

1 عجب الفيا،عبد المنعم، نساء فلاندرز والجبهة الغربية في الحرب العالمية الأولى،02-05-2024 ،17:00،موقع سودانايل https://sudanile.com /

2 سرحان، ابو بكر،الحروب البونية بين روما وقرطاجة 146 – 264 ( ق.م).أسبابها –أحداثها –نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها،مجلة الدراسات الأفريقية،جامعة القاهرة،ع35 ،2013،ص 113.

وفي ذكره لوحشية الغرب قال مصطفى سعيد "إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في السوم وفي فردان ، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام "[1] والسوم و فردان هما منطقتين في فرنسا كانتا ميداناً لأفضع المعارك في الحرب العالمية الاولى بين الالمان والحلفاء حيث بلغت خسائر الالمان في معركة السوم 500 ألف والخسائر البريطانية 410 الف والفرنسية 190 ألف رجل[2].

اختار الكاتب سنة 1898م كسنة لميلاد مصطفى سعيد. وهذا التاريخ له مغزى ودلالة خاصة فهو العام الذي أكمل فيه الجنرال الإنجليزي كتشنر احتلال السودان والاستيلاء على مدينة أم درمان العاصمة الوطنية بعد أن هزم جيوش الدولة المهدية في معركة كرري، الفاصلة، على مشارف أم درمان شمالا.

لكن قبل معركة كررى كانت هناك معركة كبرى انتصر فيها كتشنر ومهدت له الطريق إلى أم درمان وهي معركة أتبرا أو بالأحرى معركة (النخيلة) شرق بربر والتي وقعت في سبتمبر 1898م وكان قد واجه فيها الجيش الغازي الجيش السوداني بقيادة الأمير الشاب محمود ود أحمد الذي أسر في المعركة وأرسل منفيا إلى مصر حتى توفي هناك.

استحضر مصطفى سعيد بينما كان جالسا في قفص الاتهام يحاكم بتهمة قتل زوجته (جين مورس) والتسبب في انتحار فتاتين من صديقاته قبلها واقعة أسر الأمير ود أحمد: "حين جيء لكتشنر بمحمود ود احمد وهو يرسف في الاغلال بعد ان هزمه في موقعة أتبرا قال له: لماذا جئت بلدي تخرب وتنهب؟ الدخيل قال ذلك لصاحب الأرض، وصاحب الارض طأطأ رأسه ولم يقل شيئا"[3]، أراد مصطفى سعيد أن يلعب دور كتشنر مع محمود ود

1 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 98.

2 فشر ،هربرت ،تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789-1950)،تر أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع ،دار المعارف – القاهرة،ط8 ،1984، ص 513.

3 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 97.

احمد: "فليكن أيضا ذلك شأني معهم"[1]. إنه يريد أن يقلب المعادلة هو الآخر ليحولهم هم أصحاب الأرض ومواطني النساء اللائي انتهك (شرفهن) وتسبب في انتحار بعضهن وقتل من تزوجها منهن، إلى متهمين، مع أنه هو الذي جاءهم غازياً ليحاكمهم في بلدهم. قال لهم: "جئتكم غازياً في عقر داركم. قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ؟"[2] كأنما أراد أن ينتقم بطريقته "الملتوية" لمحمود ود أحمد ولآلاف الضحايا الذين فقدوا أرواحهم في معركة اتبرا وكرري وغيرها من المعارك التي خاضها السودانيون ضد الإنجليز.

لقد قلب مصطفى سعيد "الآية" وصار هو المستعمِر(بالكسر) ، فهو الدخيل الذي يجب أن يبت في أمره على يد هؤلاء المحلفين الذين كل واحد منهم في هذه المحكمة سيسمو على نفسه لأول مرة في حياته ، ليخلصه من حبل المشنقة. غير أنهم حرموه النهاية التي يريد "نهاية الغزاة الفاتحين" على حد تعبير الرواية، واكتفوا بالحكم عليه سبع سنوات سجنا. مثلما حرموا من قبل محمود ود أحمد من الشهادة التي كان يرتجيها وأرسلوه أسيرا إلى مصر وظل في الأسر إلى أن توفي سنة 1906[3].

إن علاقة مصطفى سعيد بهؤلاء الفتيات ليست علاقة عاطفية إنسانية صحيحة قائمة على التوازن والمساواة ، بل علاقات حسية قائمة على الاستغلال ، وهذا النوع من العلاقات يذكرنا ولا شك بالعلاقات بين الاستعمار والبلاد المحتلة ، فالاستعمار يستغل بلداً من البلدان ويستنزفها بقسوة لكي يستمتع بما فيها من ثروات وإمكانيات ، ولو أننا لاحظنا تمسك الاستعماريين ببلدان إفريقيا على سبيل المثال لوجدنا أن هذا التمسك فيه رائحة خارجية سطحية من المحبة والعشق بل والهوس العاطفي ، لقد كان الفرنسيون يتركون

---

1 المصدر السابق ،ص 97.

2 المصدر نفسه ،ص 98.

3 عجب الفيا، عبد المنعم ، التناصص في رواية (موسَمِ الهِجْرةِ إلى الشّمَال): واقعة أسر محمود ود أحمد نموذجاً،12-05-2024،00:06،موقع سودانايل،https://sudanile.com/ .

الجزائر بعد استقلالها وهم يذرفون الدموع الغزيرة وفي جنوب افريقيا نجد أن الأوروبيين لا يريدون أن يتركوا الأرض الإفريقية ، إنهم يتمسكون بها كما يتمسك العشاق بشيء عزيز عليهم ... ولكنهم في حقيقتهم ليسوا عشاقاً ، وإنما هم يستغلون ويستثمرون الأرض والناس.

تكلم مصطفى سعيد عن حقيقة الاستعمار في قوله " ... البواخر مخرت عرض النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز ، وسكك الحديد أنشئت أصلاً لنقل الجنود "[1] وهنا يقصد خطة كيتشنر لغزو الخرطوم في 1897 حيث قام ببناء سكك حديدية حربية لنقل أعداد كبيرة من القوات وكميات هائلة من السلاح والعتاد[2].أي أن نية الغرب لم تكن أبداً الإعمار بل الاحتلال ونهب الخيرات .

في مقطع من الرواية، تقفز إلى الواجهة الأندلس ذلك الفردوس الذي اغتصبه الإسبان قبل قرون خمسة، وضجت تلك القرون من خلال وثبة أخرى من وثبات الانتقام الجنسي، حيث تقول إيزابيلا سيمور " هل تدري أن أمي إسبانية ، هذا إذن يفسر كل شيء يفسر لقاءنا صدفة، وتفاهمنا تلقائيا، كأننا تعارفنا منذ قرون، لا بد أن جدي كان جنديا في جيش طارق بن زياد، ولا بد أنه قابل جدتك وهي تجني العنب في بستان في إشبيلية، ولا بد أنه أحبها من أول نظرة وهي أيضا أحبته، وعاش معها فترة ثم تركها وذهب إلى أفريقيا وهناك تزوج وخرجت أنا من سلالته في أفريقيا، وخرجت أنت من سلالته في إسبانيا وتخيلت برهة لقاء الجنود العرب لإسبانيا، مثلي في هذه اللحظة، أجلس قبالة إيزابيلا سيمور، ظمأ جنوبي تبدد في شعاب التاريخ في الشمال، إنما أنا لا أطلب المجد فمثلي لا يطلب المجد"[3]

عند استذكار المأمور المتقاعد لمصطفى سعيد قال:" كان أبوه من العبايدة ، القبيلة التي تعيش بين مصر والسودان . إنهم الذين هربوا سلاطين باشا من أسر الخليفة عبد الله

---

1 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 98.

2 كولينز ،روبيرت،تاريخ السودان الحديث،تر مصطفى مجدي الجمّال،مكتبة الاسرة،مصر، (د.ط) ،2015 ،ص 48.

3 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 46.

التعايشي ، ثم بعد ذلك عملوا رواداً لجيش كتشنر حين استعاد فتح السودان"[1] ،و سلاطين باشا هو رودلف أنتون كارل فون سلاطين، ولد عام ١٨٥٧م بـ فيينا، ثُمَّ ارتحل إلى مصر ليلتحق كضابط بالقوات الأنجلونمساوية، وظل بها حتى عينه غوردون باشا حاكما لدارفور عام ١٨٨٤م ، وأثناء ذلك عمل على إخماد ثورات المهدي ، فاعتنق الإسلام لاستمالة جنوده من السودانيين، وأظهر تعاطفًا مع القبائل، حتى إنه أطلق على نفسه اسم عبد القادر، ولكن سرعان ما اعتقلته قوات جيوش المهدي، فأظهر اعتناقه الإيمان بالمهدية حتى نجح في الهرب بخُطَة مُحكمة دبرها رجل المخابرات الإنجليزي السير ونجت، وعمليه تهريب سلاطين قادها ثلاثة من الزعماء السودانيين وقادة الثورات ضد المهدي، وهم محمد ود الفحل زعيم قبيلة الفحلاب، وإبراهيم محمد حمزة الإنقريابى و فل الله ود سالم زعيم الكبابيش"[2] وهنا يظهر إلمام الطيب صالح بتاريخ السودان وثوراته.

يقول مصطفى سعيد "وقد أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول ( نعم ) بلغتهم "[3] لكنه بعد تعلمه في مدارسهم وأصبح محاضراً ألف كتباً " اقتصاد الاستعمار ، الاستعمار والاحتكار اغتصاب أفريقيا، الصليب والبارود " وكأنه تعلم كيف يقول "لا"، كما قال له البروفسور ماكسول فستر كين " أنت يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتنا الحضارية في أفريقيا عديمة الجدوى ، ..فأنت بعد كل المجهودات التي بذلناها في تثقيفك كأنك تخرج من الغابة لأول مرة"[4]، الطيب صالح يعلم أن المستعمر كان هدفه من تعليم السودانيين هو تلقينهم الثقافة الغربية ومحاولة صنع أجيال تحب المستعمر وموالية له.

---

1 المصدر السابق، ص 57.

2 باشا، سلاطين،السيف والنار في السودان ،تر محمد المصطفى حسن،دار عزة للنشر والتوزيع،الخرطوم،السودان ،ط2016،2،ص 429 ومابعدها.

3 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 98.

4 المصدر السابق ، ص 96 و 97 .

ومن خلال المحطات التاريخية التي ذكرها الكاتب في الرواية يتضح أن المقصود بالجرثومة التي جلبها الغرب للعالم الإسلامي هي الاستعمار و القتل و النهب والتخلف وإخضاع الشعوب والتي بدأت منذ ألف عام اي منذ أول حملة صليبية على العالم الإسلامي في نهاية القرن الحادي عشر 1095 م . فالغرب يوم دخل الشرق لم يدخله ليقدم أو يطور أهله كما أوهمنا، بل جاء بالدرجة الأولى ليستغل خيراته، و يركز التخلف فيه. إن العلاقة بين الطرفين لن تكون علاقة تكامل إلا حين تكون هناك مساواة حقيقية تقوم على الاحترام، فبقدر ما رغب الشرق في ربط علاقة إنسانية مع الغرب، كان هذا الأخير لا يرى في الشرق إلا مصدرا للمواد الأولية، و سوقا لترويج منتجاته. لقد مل مصطفى سعيد السعي لربط علاقة سوية مع الغرب، فأقسم أن يعاقب الغرب إلى أن يتخلى عن نظرته الإحتقارية،ويظهر ذلك في كلامه "إلى أن يرث المستضعفون الأرض، و تُسَرَّحَ الجيوشُ، و يرعى الحمل آمنا بجوار الذئب، و يلعب الصبي كرة الماء مع التمساح في النهر، إلى أن يأتي زمان السعادة و الحب هذا، سأظل أنا أعبر عن نفسي بهذه الطريقة الملتوية"[1].

1 المصدر السابق ،ص 45.

## 3-المرجعية الأدبية ( التراث الأدبي ) :

يبدو ان الطيب صالح مُلم بالأدب العربي القديم والحديث ويظهر ذلك في العديد من محطات الرواية وسنحاول الوقوف عندها ونستخرج منها ما أمكن من مرجعيات أدبية.

يصف الراوي لهفته وحنينه إلى أهله وقريته فيقول : " ذاك دفء الحياة في العشيرة ، فقدته زماناً في بلاد تموت من البرد حيتانها "[1] وهو الشطر الثاني لبيت شعري من قصيدة لأحمد شوقي : وأين التماسيح من لجة يموت من البرد حيتانها[2]

ويقصد الراوي هنا مسافة التقاطع وعدم الاتصال بعيدة جدا بين السودان وبلاد الانكليز ، بقدر التناقض بين طبيعتهما ، فهذا تعيش التماسيح فى مائه، وتلك تموت الحيتان فى مائها .

وكان لشعر ابي نواس النصيب الاكبر للاستنجاد به في الرواية فجاء بلسان الراوي مرةً واحدة في وصفه لرحلته المتعبة في الصحراء فقال:

شربنا شرب قوم ظمئوا من عهد عاد[3]

وهي من قصيدة لأبي نواس بعنوان "رضعت والدهر "[4]

أما باقي الحالات جاءت بلسان مصطفى سعيد وهو يحكي عن مغامراته مع نساء لندن فقال في احداها[5] :

أما يسرك أن الأرض زهراء والخمر ممكنة شمطاء عذراء

---

1 المصدر السابق ،ص 5.

2 شوقي،احمد، الشوقيات ، مؤسسة هنداوي ، مصر ،( د.ط) ،2012 ، ص 318.

3 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 113.

4 ابو نواس ،الحسن بن هاني ، ديوان ابي نواس الحسن بن هاني ،تح احمد عبد المجيد الغزالي،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 64.

5 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 145 و146.

ما في قعودك عذر عن معتقة كالليل والدها والأم خضراء

بادر فإن جناح الكرخ مونقة لم تلتقفها يد للحرب عسراء

وهذه الابيات من قصيدة لأبي نواس بعنوان "الخمر و الطبيعة "[1]

وقال ايضا[2] :

وكأس كمصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد للقاء

أتت دونها الأيام حتى كأنها تساقط نور من فتوق سماء

وهذه الابيات من قصيدة لأبي نواس بعنوان " أبو الأمناء "[3]

وفي هذه الابيات[4] :

إذا عبّا أبو الهيْجا ءِ للهيْجاءِ فُرْسَانَا

وسارتْ رايةُ الموتِ، أمامَ الشيْخِ إعْلانَا

وشبّتْ حربُها واشْتَ علتْ تُلْهِبُ نيرانَا

جعلنا القوس أيدينا ونَبْلِ القوْسِ سوْسانَا

فعادَتْ حرْبُنَا أُنْساً، وعُدنَا نحن خُلاّنا

بفتيانٍ يروْنَ القتـ ـل في اللّذّةِ قُرْبَانَا

إذا ما ضربوا الطبلَ، ضربنا نحن عِيدانَا

ومَنْشا حرْبِنا ساقٍ، سبَا خمْراً، فسقّانَا

يحثّ الكأسَ كيْ تلحـ ـقَ أُخرانَا بأُولانَا

تَرى هذاك مصروعاً، وذا ينجَرُّ سكرانَا

فهذي الحربُ لا حربٌ تغمّ النّاسَ عدوانَا

---

1 ابو نواس ،المرجع السابق ، ص 700.

2 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 146.

3 ابو نواس ،المرجع السابق ، ص 402.

4 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 146 .

بها نقتلهم ثمّ بها ننشرث قَتلانَا

وهي قصيدة لأبي نواس أيضا بعنوان "حرب اللذة "[1] وهنا نلحظ تصرف الكاتب في القصيدة حيث حذف بعض الأبيات ، وغير أو ربما كان خطأ مطبعي في هذا البيت :

ترى هناك مصروعا وذا ينجَرُّ سكرانَا

وفي القصيدة الاصلية جاء هكذا :

تَرى هذاك مصروعاً ، وذا ينجَرُّ سكرانَا

ومن خلال هذه الأبيات يقول إنه ضد الحرب التي تحرق وتقتل وتسفك الأرواح والدماء وتنشر الغم والهم. حربه هو من نوع آخر "إذا ضربوا الطبل ضربنا نحن عيدانا" حرب الكأس والمعازف والموسيقى والغناء والطرب واللذة. حرب، تحي وتميت "بها نقتلهم ثم بها ننشر قتلانا" إشارةً إلى الخمر.فهي تبين لنا نوع الحرب التي يخوضها مصطفى سعيد ومدى انهماكه في ملذات الغرب ومغرياته من خمر و نساء فيستنجد بقصائد ابي نواس شاعر المجون وأفضل من مدح الخمر .

كما كان لشعراء السودان نصيب في الرواية من خلال بيت شعري للشاعر السوداني الكبير محمد سعيد العباسي من قصيدة له بعنوان "النهود – تحية الصديق خلف الله خالد "[2] والذي جاء بلسان الراوي يقول فيه: "وظل يرفعنا آل ويخفضنا آل وتلفظنا بيد إلى بيد "[3].

ولم يكن حظور الشعر العربي وحده في الرواية فقد حظر النثر أيضا في وصف الراوي للرحلة المتعبة عبر حر الصحراء ولما عم الصمت في السيارة لطول المسافة قال : ( إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها)[4] وهذه العبارة ذكرها الجاحظ على لسان

1 ابو نواس ، المرجع السابق ، ص 198 .

2 العباسي ، محمد سعيد ،ديوان العباسي ،دار الفكر العربي، مصر ،(د.ط) ، (د.ت) ،ص 75 .

3 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 112.

4 المصدر السابق ،ص 112.

ميمون بن سياه (وهو احد رواة الحديث) الذي كان اذا جلس إلى قوم قال : إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها[1].

وقول مصطفى سعيد : "ذخيرتي من الأمثال لا تنفد . البس لكل حالة لبوسها ، شنى يعرف متى يلاقي طبقه"[2]. اما قوله " البس لكل حالة لبوسها " فهو مثل قديم ومقطع من بيت شعري للشاعر الجاهلي بيهس الفزاري يقول فيه :

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها[3]

وقوله " شنى يعرف متى يلاقي طبقه " وهو المثل المشهور " وافق شن طبقة ".وهو مثل يضرب لكل اثنين أو أمرين جمعتهما حالة واحدة اتصف بها كل منهما.

وقول الراوي " وحين يبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود نقول : ( عند انبلاج الصبح يحمد القوم السري)[4] وهذا مثل يضرب في تقدير المجهود الذي يؤدي إلى تحقيق الغاية. أول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه. وكان باليمامة أن يسير إلى العراق، ونالته مشقة بسبب العطش، فأسرى حتى أدرك الماء فقال :عند الصباح يحمد القوم السرى[5].

وللحكمة أيضا حضوراً في الرواية في قول الكاتب : ( من ولد الخير ولد له فراخاً تطير بالسرور . ومن ولد الشر أنبت له شجراً أشواكه الحسرة وثمره الندم . فرحم الله امرئٍ أغضى عن الأخطاء واستمتع بالظاهر)[6] وهي حكمة وردت بلسان الأصمعي: قال

---

1 الجاحظ ،ابو عثمان عمر بن بحر،البيان والتبيين ،تح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ج1،ط7،1998 ، ص 259.

2 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 43.

3 قبش ، احمد ، مجمع الحكم و الامثال في الشعر العربي ، دار الرشيد ، لبنان، ط3 ، 1985 ، ص 443.

4 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 66.

5 النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب،نهاية الارب في فنون الادب ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ج3 ،(د.ط) ،1924 ،ص 39.

6 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 154.

الأصمعي :سمعت أعرابيا يقول: لو تنخل رجل أخا شقيقا لم يأمل أن يبدو منه ما يبدو من الثوب ذي الحرق، فرحم الله رجلا أغضى على الأقذاء واستمتع بالظاهر و يقول: من ولد الخير نتج له فراخا تطير بالسرور ومن ولد الشر انبت له نباتا مرا مذاقه، قضبانه الغيظ، وثمره الندم[1].

فالكاتب يعرف أسرار اللغة، ويعرف متى يستخدم صيغها التي تزخر بها، مما يدل على مخزون لغوي كبير،فيستخدم جموعا تجعلك تشك في صحتها أول وهلة، فهو يلفتك برفق إلى قدرته اللغوية، ومعرفته بأسرارها ؛ (الورثاء ، المراءات ، أحوات). "والناس أمثالك هم الورثاء الشرعيون للسلطة "[2] و" في ظلام مثل هذا كان صوته يطفو كأحوات ميتة طافية على سطح البحر "[3] و "وألقيت نظرة موضوعية على الستائر الوردية، والمراءات الكبيرة "[4] كأن الكاتب يقول لك أضف إلى ذخيرتك اللغوبة أن جمع مرآة مرايا، ومراءات، ، وجمع حوت حيتان وأحوات.[5]

ونلاحظ حظور الشعر السوداني الملحون رغم بُعد الكاتب عن وطنه على لسان سائق السيارة يغني لسيارته كما كان الشعراء في الزمن القديم يغنون لجمالهم:[6]

دركسونك مخرطة وقايم على بولاد

وغير ست النفور الليلة ما في رقاد

---

1 الجاحظ ،ابو عثمان عمر بن بحر،البيان والتبيين ،تح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ج2،ط7 ،1998،.ص 304.

2 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 102.

3 المصدر نفسه ،ص 95.

4 نفسه ،ص 147.

5 محمد، اسحق علي،العلامات اللغوية والمرجعية الثقافية في روايات الطيب صالح،مجلة كلية التربية،جامعة واسط،العراق،ع17 ،2014،ص 54.

6 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 115.

فهو يصف "الدركسون" عجلة قيادة السيارة، بأنه أملس مستقيم كانه قُدَّ بمخرطة بل هو فعلا كذلك، وأنه صلب، كونه مصنوع من الحديد الصلب، البولاد. والبولاد هو الفولاذ، وهي فارسية عُربت فولاذ. وبولاد اسم علم في السودان واشتهر الشيخ ابراهيم ود جابر الركابي بالبولاد"[1]

وارتفع صوت آخر يجاوبه:[2]

ناوين السفر من دار كول والكمبو..

هوزز راسه فرحان بالسفر يقنبه

أب دومات غرفن عرقه اتنادن به

ضرب الفجة وأصبح ناره تاكل الجنبة

يقول إنه نوى الرجوع إلى بلده من تلك الديار على ظهر بعيره الذي نشط هو الآخر بفرحة السفر والرجوع فجد في العدو حتى أن العرق الذي يتصبب من "دوماته" أي مؤخرة رأسه وما حول الأذنين يتحول بفعل هبوب الهواء مع سرعة العدو، إلى ندى يرطب عنق الجمل. وكأن الشرر يتطار من بين أقدام البعير من شدة سرعته وضربه للأرض.[3]

ثم نبع صوت ثالث يجاوب الصوتين:[4]

واوحيحي ووا وجع قلبي

من صيدة القنص الفترت كلبي

القاري العلم من دينه بتسلبي

والماشي الحجاز من جدة بتقلبي

---

1 عجب الفيا،عبد المنعم، ترجمة أبيات الشعر في "موسم الهجرة إلى الشمال،06-05-2024 ،22:08،موقع سودانايل، https://sudanile.com/

2 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 115 و 116.

3 عجب الفيا،عبد المنعم، ترجمة أبيات الشعر في "موسم الهجرة إلى الشمال ،الموقع السابق.

4 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 116.

استعمل الكاتب العديد من الالفاظ من اللهجة السودانية " الكاكي والدبلان، ونبات السعدة، والطاقة شباك، والقمرة في القطار، وعجوز كركبة، والجروف، والقيف، وأغلف، والفركة القرمصيص، والبرش، والمصطبة، والرطانة، والبطان، ومافي عوجة، ويزعل جدّي، ومخايل، ويبقبق، ويفطر القلب، والتبلدي، وأيام التخاريف، والطلح، والبرم، والحراز، والأبنوس، والسبيل/الأزيار، والفروة، والديوان، والقنديل، والدوامة.... الخ"[1] وهي مفردات تكتسب دلالتها من السياق، وهو المعول عليه في الرواية لأن المتلقي غير سوداني . ربما . لا تسعفه المرجعية الثقافية لمعرفة دلالة المفردة، ولكن من خلال سياق المفردة يمكن بسهولة الاهتداء إلى دلالتها ، وتوحي بأن الكاتب يهتم بلهجته بوصفها هوية، وتؤشر دلالياً على انتمائه.

أما الأدب الأجنبي فكان له نصيب في الرواية من خلال قصيدة تلاها مصطفى سعيد وهو في حالة سكر قال:

هؤلاء نساء فلاندرز ينتظرن الضائعين ،

ينتظرن الضائعين الذين أبداً لن يغادروا الميناء ،

ينتظرن الضائعين الذين أبداً لن يجيء بهم القطار ،

إلى أحضان هؤلاء النسوة ، ذوات الوجوه الميتة ،

ينتظرن الضائعين الذين يرقدون موتى في الخندق والحاجز والطين في ظلام الليل.

هذه محطة تشارنغ كروس . الساعة جاوزت الواحدة.

ثمة ضوء ضئيل

ثمة ألم عظيم

1 محمد، اسحق علي، ،المرجع السابق،ص 56.

وهي من قصائد الحرب العالمية الأول بعنوان "انتيويرب " Antiwerp للشاعر فورد مادوكس هويفر أحد جنود الحرب العالميّة الأولى[1]. هذه الابيات التي تلاها مصطفى سعيد وهو في حالة سكر والتي جعلت الراوي في حالة صدمة و ذهول من مدى تمكن مصطفى سعيد من اللغة الانكليزية وطريقة إلقائه الاكثر من مميزة .ترجم الطيب صالح هذا المقطع بنفسه إلى اللغة العربية ،هذا يدل على مدى تمكنه وإتقانه اللغة الانكليزية بل يظهر أن له باع طويل في تراثها الادبي .

حين جال في خاطر مصطفى سعيد في جلسة محاكمته " هذا زور وتلفيق . قتلتها أنا . أنا صحراء الظمأ . أنا لست عطيلاً . أنا أكذوبة . لماذا لا تحكمون بشنقي فتقتلون الأكذوبة "[2] وكأن الكاتب هنا مستلهماً مسرحية عطيل لوليام شكسبير فقوله "انا لست عطيلا" فعطيل في مسرحية شكسبير كان مغربي أسود اكتسب مكانة له في البندقية فهو قائد للجيوش و مصطفى سعيد هو سوداني أسود اكتسب مكانة له في المجتمع الانجليزي كونه استاذاً محاضرًا، ولكن يختلفان في كون عطيل قتل ديدمونة زوجته بدافع الغيرة ،لكن مصطفى سعيد قتل جين مورس ليس غيرة عليها فهو يعرف انها تخونه لكن غيرة على وطنه و انتقاماً من الاستعمار الانجليزي.

وعندما سألته إيزابيلا سيمور عن جنسه قال " أنا مثل عطيل . عربي أفريقي"[3].

وحين كان يشك في خيانة جين مورس له "وكنت أعلم أنها تخونني . كان البيت كله يفوح بريح الخيانة . وجدت مرة منديل رجل ، لم يكن منديلي . سألتها فقالت : إنه منديلك . قلت لها : هذا المنديل ليس منديلي ، قالت : هبه ليس منديلك "[4]. والكاتب هنا بذكره للمنديل

1 انظر هذا البحث ،ص 28.

2 صالح ،الطيب،المصدر السابق ، ص 37.

3 المصدر السابق ، ص 42.

4 المصدر نفسه ، ص 164.

وجعله من علامات الخيانة كما فعل ياغو في مسرحية عطيل بسرقته لمنديل ديدمونة ووضعه في غرفة كاسيو من اجل اتهام ديدمونة بخيانتها لعطيل.

تظهر في الرواية بعض من ملامح رواية "الغريب" للكاتب الفرنسي ألبير كونو حين وصف الطيب صالح علاقة مصطفى سعيد الباردة مع أمه عند وداعه لها في سفره للقاهرة "كان ذلك وداعنا . لا دموع ولا قبل ولا ضوضاء . مخلوقان سارا شطراً من الطريق معاً ، ثم سلك كل منهما سبيله"[1] وحين سماعه خبر وفاتها "وتذكرت نبأ وفاة أمي حين وصلني قبل تسعة أشهر ، وجدوني سكران في أحضان امرأة . لا أذكر الآن أية امرأة كانت . ولكنني تذكرت بوضوح أنني لم أشعر بأي حزن ، كأن الأمر لا يعنيني في كثير ولا قليل"[2]

ففي رواية الغريب يتلقى ميرسو رسالة من دار المسنين، التي كان قد أودع والدته فيها لأنه لم يعد قادراً على رعايتها أو إعالتها، تبلغه الرسالة بوفاة والدته، وتظهر لامبالاة ميرسو منذ بداية الرواية في قوله "اليوم ماتت أمي أو ربما أمس" وتظهر لامبالاته ايضا أثناء محاكمته بسبب قتله للشاب الجزائري ،كما كانت مبالاة مصطفى سعيد أثناء محاكمته.

ارجع ميرسو سبب قتله للشاب الجزائري للشمس التي أحرقته وافقدته التّركيز على تصرفاته.وذكر الطيب صالح على لسان الراوي في حادثة قتل المرأة لزوجها من قبيلة المريصاب وفي محاولة الراوي تبرير فعلتها "وخطرت لي فكرة ، قلبتها في ذهني ثم قررت أن أعبر عنها وأرى ما يحدث . قلت لهم إنها لم تقتله بل هو مات من ضربة الشمس ، كما ماتت إيزابيلا سيمور وشيلا غرينود وآن همند وجين مورس . لم يحدث شيء"[3].

1 المصدر السابق ، ص 27.

2 المصدر نفسه ، ص 161.

3 نفسه ، ص 113.

## 4-المرجعية الاجتماعية :

لم يكن الإنتاج الأدبي منفصلاً عن السياق الاجتماعي. فالمرجعية الاجتماعية تعد أحد أبرز المواد الملهِمة في بناء الخطاب الروائي، و الرواية هي تصوير لحياة الفرد ورصد مختلف المظاهر الاجتماعية. حيث يُعود الكاتب إلى البيئة الاجتماعية ويستلهم من مادتها. ويقوم بتوظيف أبنية المكان والزمان والشخصيات والأحداث التي تكون ذات أبعاد ودلالات اجتماعية، وتحمل عمقًا اجتماعيًا.[1]

تدور أحداث رواية موسم الهجرة إلى الشمال في مجملها بين القرية والمدينة ،القرية يمثلها الريف السوداني و المدينة تتمثل في انجلترا .لذا فالحياة فيهما تختلف كثيرا ويصف لنا الطيب صالح تفاصيل كل منهما من حيث العلاقات الأسرية بين دفء الأسرة و الغربة الموحشة .

يصف مصطفى سعيد فرحة الراوي بعودته إلى قريته " عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة ، سبعة أعوام على وجه التحديد ، كنت خلالها أتعلم في أوروبا . تعلمت الكثير ، وغاب عني الكثير ، لكن تلك قصة أخرى المهم أنني عدت وبي شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحنى النيل ، سبعة أعوام وأنا أحن إليهم وأحلم بهم ، ولما جئتهم كانت لحظة عجيبة أن وجدتني حقيقة قائماً بينهم ، فرحوا بي وضجوا حولي ، ولم يمض وقت طويل حتى أحسست كأن ثلجاً يذوب في دخيلتي ، فكأنني مقرور طلعت عليه الشمس ، ذاك دفء الحياة في العشيرة ، فقدته زماناً في بلاد ( تموت من البرد حيتانها )"[2] يبدو ان الراوي لم تغيره الحياة في أوروبا ولم يتأثر بالحضارة الغربية فيصف لهفته وحنينه إلى أهله وقريته .يواصل الراوي " أحس أنني لست ريشة في مهب الريح ، ولكني مثل تلك

---

1 الكعبي،عفيفة منادي ، المرجع السابق ، ص 48.

2 صالح ،الطيب،المصدر السابق ،ص 5.

النخلة ، مخلوق له أصول ، له جذور له هدف "[1].اي انه حقق هدفه بنيله شهادة الدكتوراه في الغرب و لم يتخل عن أصوله رغم مغريات تلك الحضارة .

"فجأة تذكرت وجهاً رأيته بين المستقبلين لم أعرفه . سألتهم عنه ، ووصفته لهم . رجل ربعة القامة ، في نحو الخمسين أو يزيد قليلاً من شوارب الرجال في البلد . رجل وسيم . وقال أبي : (هذا مصطفى)"[2]. الحياة في القرية بسيطة سكانها قليلون ويعرفون بعضهم البعض كأنهم أسرة واحدة ،فلا غرابة ألا يتعرف الراوي على مصطفى سعيد لأنه وافد جديد للقرية .

يتحدث الراوي عن لهفة أهل قريته في معرفة أحوال أهل أوروبا وهنا تظهر اهتمامات كل شخص حسب ميوله فسؤال ود الريس كان " ( هل صحيح أنهم لا يتزوجون ولكن الرجل منهم يعيش مع المرأة بالحرام ؟)"[3] فالمعروف عن ود الريس أنه زير نساء ،أما محجوب المزارع كان سؤاله "(هل بينهم مزارعون ؟ )"[4].

صلة التراحم و الترابط والتآزر في القرية قوية جدا كأنهم عائلة كبيرة يذكر الراوي " وكانت أمي لي بالمرصاد ، تذكرني بمن مات ، لأذهب وأعزي ، وتذكرني بمن تزوج ، لأذهب وأهنئ . جبت البلد طولاً وعرضاً معزياً ومهنئاً "[5].

أهل القرية معتادين على بعضهم البعض لا يحتاجون للاعتذار أو تبرير أفعالهم ومعاملاتهم تخلو من عبارات المجاملة ،لكن مصطفى سعيد كان مختلفاً كما قال الراوي " فخلوت بنفسي ، سمعت نحنحة خارج البيت ، فقمت ، فإذا هو مصطفى ، يحمل بطيخة كبيرة ، وزنبيلاً مملوءاً برتقالاً . ولعله رأي الدهشة على وجهي ، فقال : ( أرجو ألا أكون

---

1 المصدر السابق ، ص 6.
2 المصدر نفسه ، ص 6.
3 نفسه ، ص 7.
4 نفسه ، ص 7.
5 نفسه ، ص 8.

أيقظتك من نوم . لكنني قلت أجيئك بعينة من ثمر الحقل ، تذوقه . كذلك أحب أن أتعرف إليك . وقت الظهيرة ليس وقت زيارة . أعذرني)"[1].

فضول الراوي ومحاولته معرفة شخصية مصطفى سعيد وإحساسه بأن هذا الشخص يخفي اسرارًا خاصة حين حضوره اجتماع لجنة المشروع الزراعي "... وكان مصطفى بينهم ، وكانوا يبحثون أمراً يتعلق بتوزيع الماء على الحقول . ويبدو أن بعض الناس ، ومنهم من هو عضو في اللجنة ، كانوا يفتحون الماء في حقولهم قبل الموعد المحدد لهم . واحتد النقاش وتصايحوا بعضهم على بعض وفجأة رأيت مصطفى يهب واقفاً . هدأ اللغط واستمعوا إليه باحترام زائد . وقال مصطفى أن الخضوع للنظام في المشروع أمر مهم وإلا اختلطت الأمور وسادت الفوضى ، وأن على أعضاء اللجنة خاصة أن يكونوا قدوة لغيرهم ، فإذا خالفوا القانون عوقبوا كبقية الناس . ولما فرغ من كلامه هز أغلب أعضاء اللجنة رؤوسهم استحساناً ، وصمت من عناهم الكلام. لم يكن ثمة أدنى شك في أن الرجل من عجينة أخرى ، وأنه أحقهم برئاسة اللجنة ، لكن ربما لأنه ليس من أهل البلد لم ينتخبوه"[2] فكلام مصطفى سعيد على ضرورة أن يكون المسؤول هو القدوة في تطبيقه للنظام وخضوعه له وبلا شك هذا الكلام لا ينبع من شخص عاش في السودان البلد الذي يداس فيه القانون من قادة البلاد.

من الغريب أن يبيح الكاتب شرب الخمر خاصة في القرية السودانية المحافظة و الأغرب أن لا أحد يستنكر ذلك من السكان وكأن الخمر ليس محرما أو مشروبا عاديا كما جاء في حديث الراوي" بعد هذا بنحو أسبوع ، حدث شيء أذهلني . دعاني محجوب لمجلس شراب . وبينما نحن نسمر جاء مصطفى يكلم محجوباً في شأن من شؤون المشروع. دعاه محجوب أن يجلس فاعتذر ، ولكن محجوب حلف عليه بالطلاق . مرة أخرى لاحظت سحابة التبرم تنعقد ما بين عينيه ، ولكن جلس ، وعاد بسرعة إلى هدوئه الطبيعي . وناوله

1 المصدر السابق ،ص 11.

2 المصدر نفسه ،ص 16.

محجوب كأساً من الشراب ، فتردد برهة ثم أمسك بها ووضعها إلى جانبه.. دون أن يشرب منها . ومرة أخرى أقسم محجوب ، فشرب مصطفى. "[1]

وقول محجوب :" الدنيا لم تتغير بالقدر الذي تظنه . تغيرت أشياء . طلمبات الماء بدل السواقي ، محاريث من حديد بدل محاريث الخشب . أصبحنا نرسل بناتنا للمدارس . راديوهات . أوتومبيلات . تعلمنا شرب الويسكي والبيرة بدل العرقي والمريسة . لكن كل شيء كما كان"[2]

وقول الراوي "في صبيحة اليوم الثالث حملت زجاجة الوسكي في جيبي وذهبت إلى بنت مجذوب . إذا لم تقل لي بنت مجذوب فلن يقول لي أحد . وصبت بنت مجذوب من الزجاجة في إناء كبير من الألمون ... شربت جرعة كبيرة من الإناء وقطبت وجه "[3]

وهذا الكلام عن الخمر و الويسكي والذي يتناوله كل من محجوب و أم مجذوب بل حتى الراوي يملك قنينة ويسكي لا يبدو منطقيا في قرية مسلمة محافظة ولا ندري ما غاية الطيب صالح من إباحته في اهل القرية.

كان سكان القرى يمنعون ابناءهم من الدراسة في مدارس الاستعمار فكيف يثقون في مستعمر احتل بلادهم وقتل ما قتل من أبنائهم أن يكون وراؤه خيراً " كان ذلك الوقت أول عهدنا بالمدارس أذكر الآن الناس كانوا غير راغبين فيها . كانت الحكومة تبعث أعوانها يجوبون البلاد والأحياء ، فيخفي الناس أبناءهم . كانوا يظنونها شراً عظيماً جاءهم مع جيوش الإحتلال . كنت ألعب مع الصبية خارج دارنا ، فجاء رجل على فرس ، في زي رسمي ووقف فوقنا . جرى الصبية "[4].

مصطفى سعيد مات أبوه و هو صغير وعاش مع أمه حياة خالية من العواطف

---

1 المصدر السابق ، ص 16 و 17.

2 المصدر نفسه ، ص 103.

3 نفسه ، ص 125 و 126

4 نفسه ، ص 24.

" كان ذلك وداعنا . لا دموع ولا قبل ولا ضوضاء . مخلوقان سارا شطراً من الطريق معاً ، ثم سلك كل منهما سبيله . وكان ذلك في الواقع آخر ما قالته لي ، فإنني لم أرها بعد ذلك . بعد سنوات طويلة ، وتجارب عدة ، تذكرت تلك اللحظة ، وبكيت . أما الآن ، فإنني لم أشعر بشيء على الإطلاق . جمعت متاعي في حقيبة صغيرة ، وركبت القطار . لم يلوِّح لي أحد بيده ولم تنهمر دموعي لفراق أحد"[1] وقوله "أحس إحساساً دافئاً بأنني حر ، بأنه ليس ثمة مخلوق أب أو أم ، يربطني كالوتد إلى بقعة معينة ومحيط معين"[2]. وكأن الكاتب أراد أن يجعله من دون انتماء فلا صلة تربطه ببلده .

ربما لم يشعر مصطفى سعيد بحب امه له ، لكن مسز روبنسن عوضته عن ذلك الحب وأشعرته بحنان الام "...تضحك بمرح ، وتحنو علي كما تحنو أم على ابنها. وكانا على الرصيف حين أقلعت بي الباخرة من الإسكندرية . ورأيتها من بعيد وهي تلوح لي بمنديها ، ثم تجفف به الدمع من عينيها ، وإلى جوارها زوجها ، واضعاً يديه على خصره ..."[3]. فمستر و مسز روبنسن يمثلان الوجه الجميل للغرب ربما لأنهما عرفا حقيقة الانسان الشرقي بحكم معيشتهما في القاهرة و الاحتكاك بالعرب هناك .

يبدو أن مصطفى سعيد قد تقمص دور الغازي في أوروبا "انني جئتكم غازيا "[4] وقول أحد الوزراء عنه "الدكتور مصطفى سعيد . كان أستاذي عام 1928. كان هو رئيساً لقسم الكفاح لتحرير أفريقيا وكنت أنا عضواً في اللجنة . يا له من رجل . إنه من أعظم الأفريقيين الذين عرفتهم . كانت له صلات واسعة . يا إلهي ، ذلك الرجل كانت النساء

1 المصدر السابق ، ص 27.
2 نفسه ، ص 23.
3 نفسه ، ص 30.
4 نفسه ، ص 63.

تتساقط عليه كالذئاب . كان يقول سأحرر أفريقيا ب .. ي )"[1] هو لا يملك سلاحا ، فاختار الجنس كأداة للانتقام من الاستعمار الذي كان سبباً في تخلف بلاده ، كان يتصيد الفتيات وكأنه يفتح مدناً " أفعل كل شيء حتى أدخل المرأة في فراشي ، ثم أسير إلى صيد آخر . لم يكن في نفسي قطرة من المرح ، كما قالت مسز روبنسن . جلبت النساء إلى فراشي من بين فتيات جيش الخلاص ، وجمعيات الكويكرز ، ومجتمعات الفابيانيين"[2] فعلاقة مصطفى سعيد مع الفتيات الغربيات مجرد علاقة جسدية او شهوة جارفة تنتهي بمجرد انقضاء الوطر.هو يمارس الجنس انتقاماً من الغرب وهن يمارسنه إشباعا لرغباتهن العاطفية لا ينظرن له كرجل عادي بل كعبد أسود أو ثور هائج.وهذا نتاج الحضارة في الغرب التي فككت الأسرة ،وقلبت المفاهيم، وعبثت بقدسية الزواج، وفتحت المجال للعلاقات غير الشرعية. على عكس المجتمع السوداني خصوصا و الاسلامي عموما فالرجل والمرأة لا تربطهما علاقة جنسية إلا في إطار الزواج ،فالزواج مودة ورحمة وسكن بين الزوجين من أجل بناء أسرة سوية ، فمغامرات مصطفى سعيد الجنسية اختفت لما عاد إلى قريته فقد تزوج من حسنة بنت محمود وهي بنات القرية وأثمر هذا الزواج بإنجاب ولدين ،هذه الزوجة التي تغيرت بعد زواجها من مصطفى كما وصف ذلك محجوب "ولكن الحقيقة أن بنت محمود قد تغيرت بعد زواجها من مصطفى سعيد . كل النسوان يتغيرن بعد الزواج لكنها هي خصوصاً تغيرت تغيراً لا يوصف . كأنها شخص آخر . حتى نحن أندادها الذين كنا نلعب معها في الحي ، ننظر إليها اليوم فنراها شيئاً جديداً ، هل تعرف ؟ كنساء المدن "[3] يبدو ان حسنة بنت محمود تأثرت بعقلية مصطفى سعيد وباتت قادرة على كسر تلك العادات المتوارثة ويظهر ذلك حين رفضها للزواج من ود الريس لقد كسرت حسنة الطوق بما فعلت،

1 المصدر السابق ، ص 122.

2 المصدر نفسه ، ص 33 و 34.

3 نفسه ، ص 104.

لقد قتلت الأوهام المسيطرة، وحطمت نير الاستعباد، وصارت علما على الوفاء، وعدم الرضوخ حين أقامت في بيت ود الريس أسبوعين لا تكلمه ولا يكلمها ولما أراد أن يكسر إرادتها قتلته وقتلت نفسها.

أما جين مورس تلك المرأة التي أوقعت مصطفى سعيد في شباكها وحولته من صياد إلى طريدة، ومن ثم إلى فريسة علاقة تشوبها الغرابة فالعربي مشهور بغيرته الشديدة على زوجته لكن من خلال كلام مصطفى سعيد عنها بعد زواجه منها " ونحن في حانة صرخت فجأة : ابن العاهرة تغازلني . وثبت على الرجل وأخذت بخناقه وأخذ بخناقي واجتمع علينا الناس ، وفجأة سمعتها تقهقه بالضحك وراء ظهري وقال لي أحد الرجال الذين جاءوا يفصلون بيننا : يؤسفني أن أقول لك هذه المرأة إذا كانت زوجتك فإنك متزوج من مومس . هذا الرجل لم يكلمها بكلمة "[1] و قوله " وكنت أعلم أنها تخونني . كان البيت كله يفوح بريح الخيانة "[2] هو اختار الزواج منها وكانت النتيجة أنه قتلها ،على عكس حسنة بنت محمود أرغمت على الزواج من ود الريس فقتلته ، وهنا ربما يلمح الكاتب إلى الانتقام من المغتصب ،فجين مورس تمثل الغرب المغتصب ، و ود الريس أيضا مغتصب فكان حكمهما الموت.

يبدو أن الطيب صالح أراد من شخصية بنت مجذوب أن تمثل جانباً من الثورة الاجتماعية إذ أنها تعتبر في مسلكها بمثابة دعوة صادقة للمكاشفة والشفافية لعلاج أمراض مجتمعاتنا العربية وآفاتها المستحكمة، كما أنها تمثل صرخة ضد النفاق الاجتماعي والتجمل الزائف الذي تُبنى عليه كثير من العلاقات في المجتمع، و تمثل دعوة للنقاش لكل ما هو مسكوت عنه.لكن هناك من أعاب على الطيب صالح جرأة هذه العجوز التي لا تمثل المجتمع السوداني ، فهي تجلس مع الرجال وتخوض معهم في كلام يعتبر من الطابوهات

1 المصدر السابق، ص 163.

2 المصدر نفسه، ص 164.

في مجتمعنا بل وتحتسي الخمر وتشرب السجائر، وهناك من أباح لها تلك الجرأة بحكم كبر سنها .

يقول الراوي " كيف أقول لمحجوب أن الوزير الذي قال في خطابه الضافي الذي قوبل بعاصفة من التصفيق : ( يجب ألا يحدث تناقض بين ما يتعلمه التلميذ في المدرسة وبين واقع الشعب . كل من يتعلم اليوم يريد أن يجلس على مكتب وثير تحت مروحة ويسكن في بيت محاط بحديقة مكيف الهواء يروح ويجيء في سيارة أمريكية بعرض الشارع . إننا إذا لم نجتث هذا الداء من جذوره تكونت عندنا طبقة برجوازية لا تمت إلى واقع حياتنا بصلة ، وهي أشد خطراً على مستقبل أفريقيا من الاستعمار نفسه ) كيف أقول لمحجوب أن هذا الرجل بعينه يهرب أشهر الصيف من أفريقيا إلى فيلته على بحيرة لوكارنو ، وأن زوجته تشتري حاجياتها من هرودز في لندن ، تجيئها في طائرة خاصة ، وأن.. أعضاء وفده أنفسهم يجاهرون بأنه فاسد مرتش ، ضيع الضياع وأقام تجارة وعمارة ، وكون ثروة فادحة من قطرات العرق التي تنضح على جباه المستضعفين أنصاف العارة في الغابات ؟ هؤلاء قوم لا هم لهم إلا بطونهم وفروجه"[1] حاول الطيب صالح هنا وضع يده عن مكمن الداء ،وسبب تخلف بلدان العالم الثالث ومعاناة شعوبه رغم نيلها الاستقلال ،فبحسب رأيه أن الخلل يكمن في الطبقة الحاكمة التي بات كل همها هو المصلحة الخاصة ،فهم يعيشون ترف الحياة غير مبالين بشعوبهم التي ترضخ تحت سطوة الفقر والمعاناة.

حين قال المأمور "" كان مفتش المركز الإنكليزي إلهاً يتصرف في رقعة كبرى من الجزر البريطانية كلها ، يسكن في قصر طويل عريض مملوء بالخدم ومحاط بالجند . وكانوا يتصرفون كالآلهة . يسخروننا نحن الموظفين الصغار أولاد البلد لجلب العوائد ، ويتذمر الناس منا ويشكون إلى المفتش الإنكليزي . وكان المفتش الإنكليزي طبعاً هو الذي يغفر ويرحم . هكذا غرسوا في قلوب الناس بغضنا ، نحن أبناء البلد ، وحبهم هم المستعمرون

1 المصدر السابق ، ص121 و122.

الدخلاء . وتأكد من كلامي هذا يا بني . ألم تستقل البلد الآن ؟ ألم نصبح أحراراً في بلادنا ؟ تأكد أنهم احتضنوا أرذال الناس . أراذل الناس هم الذين تبوأوا المراكز الضخمة أيام الإنكليز" ويقصد الطيب صالح أن المستعمر خرج من البلاد ، لكن الاستعمار باق بفضل أعوانه الذين تركهم في السلطة ،وولاؤهم للمستعمر هو الذي لم يسمح للبلاد أن تقوم لها قائمة او أن تخطو خطوة للأمام.

أراد الكاتب من محجوب أن يمثل القيم التقليدية والاستقرار الاجتماعي في الريف السوداني. يُظهر كشخصية تحترم التقاليد وتعمل بجد،ويظهر ذلك من خلال سؤاله للرواي عن الغرب " وسألني محجوب ( هل بينهم مزارعون ؟ )"[1] وتعكس الأخلاقيات الاجتماعية والمسؤولية تجاه الأسرة والمجتمع ويمثل رمزاً للمجتمع الريفي.

يقدم محجوب نموذجًا للرجل الذي يعتمد على الأرض ويعيش حياة متواضعة ولكنها مليئة بالكرامة.مثل ما جاء في حديث الراوي " ورحت إلى محجوب في حقله . كان محجوب في مثل سني ، قضينا طفولتنا معاً ، وكنا نجلس على درجين متلاصقين في المدرسة الأولية . وكان أذكى مني . ولما انتهينا من مرحلة التعليم الأولي . قال محجوب : هذا القدر من التعليم يكفي ، القراءة والكتابة والحساب . نحن ناس مزارعون مثل آبائنا وأجدادنا . كل ما يلزم المزارع من التعليم ، ما يمكنه من كتابة الخطابات وقراءة الجرائد ومعرفة فروض الصلاة . وإذا كانت لنا مشكلة نعرف نتفاهم مع الحكام "[2].

يتناقض مع الحياة الحضرية والتأثيرات الغربية التي يجلبها مصطفى سعيد، مما يسلط الضوء على التوتر بين الحفاظ على الهوية الثقافية والانفتاح على العالم الخارجي.من خلال شخصية محجوب،ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال حديث الراوي عنه "مضيت أنا في ذلك السبيل ، وتحول محجوب إلى طاقة فعالة في البلد ، فهو اليوم رئيس للجنة المشروع

1 المصدر السابق ، ص 7.

2 المصدر نفسه ، ص 101.

الزراعي ، والجمعية التعاونية ، وهو عضو في لجنة الشفخانة التي كادت تتم ، وهو على رأس كل وفد يقوم إلى مركز المديرية لرفع الظلامات . وحين جاء الاستقلال أصبح محجوب من زعماء الحزب الوطني الاشتراكي الديمقراطي في البلد . كنا أحياناً نتذاكر أيام الطفولة في القرية فيقول لي : ( لكن أنظر أين أنت الآن وأين أنا . أنت صرت موظفاً كبيراً في الحكومة وأنا مزارع في هذه البلدة المقطوعة ) . وأقول له بإعجاب حقيقي : ( أنت الذي نجحت)"[1].

من خلال شخصية محجوب يستكشف الطيب صالح الديناميكيات الاجتماعية والتغيرات التي تحدث في المجتمع السوداني، وكيف يمكن للأفراد أن يحافظوا على قيمهم في مواجهة التحديات الجديدة كما جاء على لسان الراوي "لا أنا ، لأنك تؤثر على الحياة الحقيقة في القطر . أما نحن فموظفون لا نقدم ولا نؤخر . الناس أمثالك هم الورثاء الشرعيون للسلطة . أنتم عصب الحياة . أنت ملح الأرض" [2] .

تمكنت شخصية الجد من إلهام الراوي لإدراك الهوة الشاسعة بين الجنوب والشمال. على الرغم من النقص المادي، يتمتع الجنوب بثقافة غنية تمنحه مكانة فريدة في العالم.

لقد اعترف الراوي بتفوق الجنوب من حيث القيم الأخلاقية والروحية على الشمال العلماني، رغم التطور المادي للأخير.

دفعت هذه الفجوة الثقافية الراوي للتأمل في الغنى الأخلاقي والروحي للجنوب مقارنةً بالشمال. يعترف الراوي قائلاً: "وفقًا لمعايير العالم الصناعي الأوروبي، نحن فلاحون فقراء، لكن عندما أحتضن جدي، أشعر بالثراء كأنني جزء من نبض الكون نفسه"[3].

---

1 المصدر السابق ، ص 101.

2 المصدر نفسه ، ص 102.

3 نفسه ، ص 77.

يرى الراوي في جده مثالاً للقوة الجسدية والأخلاقية والروحية للجنوب. يصف الجد بأنه " إنه ليس شجرة سنديان شامخة وارفة الفروع في أرض منت عليها الطبيعة بالماء والخصب ، ولكنه كشجيرات السيال في صحاري السودان ، سميكة اللحى حادة الأشواك ، تقهر الموت لأنها لا تسرف في الحياة . وهذا وجه العجب . إنه عاش أصلاً رغم الطاعون والمجاعات والحروب وفساد الحكام . وها هو ذا الآن يقترب من عامه المائة ، أسنانه جميعاً في فمه ، عيناه صغيرتان باهتتان تحسب أنهما لا تريان ولكنه ينظر بهما في حلكة الليل ، جسمه الضئيل منكمش على ذاته "[1].

ويُعزى وصول الجد لهذا المستوى إلى اعتداله الذي يجعله يطلب القليل من الحياة، مما يمكّن الإنسان من العمل والتفاعل وفقًا للقيم العليا وضمن إطار أخلاقي يفصل بوضوح بين الصواب والخطأ، وبين الفضيلة والرذيلة.

أراد الكاتب من الجد في الرواية أن يُمثل رمزًا للحكمة التقليدية والقيم الأصيلة التي تتحدى الزمن والتغيرات الاجتماعية. يُظهر الجد الصلابة والتحمل في مواجهة الصعاب، ويُعبر عن الاعتدال والتوازن في الحياة. كما يُعتبر الجد مثالًا للانسجام مع الطبيعة والبيئة الصحراوية، وهو يُجسد القوة الروحية والأخلاقية التي تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من هوية الجنوب وتراثه.

1 المصدر السابق، ص 77.

## 5-المرجعية النفسية :

يلاحظ في الرواية أنها مفسرة للجنس غير المقيد ،واللسان المطلق العنان وقلة الاحتشام، حيث تضمنت محاكاة عمياء لثقافات غربية انتهازية وفلسفاتها الخالية من القيم الإنسانية، نقلا من الشوارع الأوروبية إلى المجتمع العربي بواسطة لغة مثيرة للشهوة. ففيها تجاهل واضح لحرمة الإنسان، واستجابات مكثفة لرغبات الجسد، واعتبارات تافهة للغرائز الحقيرة، وتنشيط الرغبات الحيوانية الخارقة للمروءة في وصف العناصر المختلفة للتركيبة الجسدية للإنسان ، ويظهر ذلك في الكثير من محطات الرواية ، نذكر على سبيل المثال ما جاء على لسان أم مجذوب " حريم النصارى لا يعرفن لهذا الشيء كما تعرف له بنات البلد . نساء غلف ، الحكاية عندهن كشرب الماء . بنت البلد تعمل الدلكة والدخان والريحة وتلبس الفركة القرمصيص . وحين ترقد على البرش الأحمر بعد صلاة العشاء وتفتح فخذيها ، يشعر الرجل كأنه أبو زيد الهلالي . الرجل الما عنده همة يصبح له همة"[1]. والغريب أنها تحكي هذه الحكاية و هي في مجلس رجال .

وجاء على لسان مصطفى سعيد " أطلت النظر إلى فخذيها البيضاوين المفتوحين ، أدلكهما بعيني وينزلق بصري على السطح الناعم الأملس إلى أن يستقر هناك في مستودع الأسرار ، حيث يولد الخير والشر"[2].

وقول ود الريس " على أي حال ، أنا في يومنا هذا أنشط واحد فيكم . وعلي اليمين بين فخذي المرأة أنا أنشط من حفيدك هذا "[3].والغريب انه يقول هذا الكلام بين الجد وحفيده .

1 المصدر السابق ، ص 84.

2 المصدر نفسه ، ص 166.

3 نفسه ، ص 87.

ربما يرجع تأثر الطيب صالح بفرويد إلى سقوطه تحت قبضة أفكاره بعد أن تلقى تعليما قليلا من نظرياته واطلع على ادعاءاته. ومن ملامح تأثير الفرويدية فيه احتواء رواية موسم الهجرة إلى الشمال على لغة غير أخلاقية وتركيزها على تجسيد النفسية الفاسدة والظنون الفرويدية المنحرفة، الكامنة في تمثلات مصطفى سعيد، وبعض الشخصيات،وربما بذكره لكتاب سيغموند فرويد " الطوطم و التابو " دليل على اطلاعه على نظرياته.

## خاتمة :

فـي ختـام هـذا البحـث نجـد أن الطيـب صـالح أظهـر مهـارة فائقـة فـي توظيـف المرجعيـات الثقافيـة بروايـة "موسـم الهجـرة إلـى الشـمال". استطاع ببراعـة أن ينسـج التـاريخ والتـراث الأدبـي والتقاليـد السـودانية مـع الإشـارات الأدبيـة الغربيـة، ليخلـق بـذلك نسـيجًا ثقافيًـا معقدًا يعكس التجربـة الاستعمارية وتأثيرها. صـالح يستخدم هذه المرجعيات ليس فقط لتزيين الـنص، بـل لتعميـق الحـوار بـين الشـرق والغـرب، ولطـرح أسـئلة حـول الهويـة والانتمـاء. هذا التوظيف يُعد دليلًا على قدرته الأدبية العالية وإسهامه الكبير في الأدب العالمي.

نستشف أن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح تعد تحفة أدبية تجسد المرجعيات الثقافية بأسلوب فريد. تناول الكاتب الصراع الثقافي والهويات المتداخلة بحنكة، مستخدمًا الإشارات الثقافية لرسم صورة حية للمجتمع السوداني في فترة ما بعد الاستعمار. الرواية لا تقتصر على كونها مرآة للواقع، بل تعمل كجسر يربط بين الماضي والحاضر، وبين الشرق والغرب. تعكس الرواية تجربة الهجرة والعودة، وتطرح تساؤلات جوهرية حول الهوية والانتماء.

تبرز الرواية الشخصية الرئيسية، مصطفى سعيد، كنموذج للمثقف الذي يعيش بين عـالمين، محـاولًا التوفيـق بينهمـا دون أن يفقد جـذوره. تُظهـر الروايـة كيـف أن الثقافـة ليسـت ثابتـة، بـل هـي فـي حالـة تدفق وتـأثير متبـادل. "موسـم الهجـرة إلـى الشـمال" يعـد بمثابـة دعـوة للقارئ لإعادة النظر في مفاهيم مثل الوطن والغربة والذات. الرواية تُعلمنا أن الهوية ليست مجرد مكان نشأة أو لغة نتحدثها، بل هي تجربة حية تتشكل وتتغير مع كل تجربة جديدة.

"موسم الهجرة إلى الشمال" يبقى عملًا أدبيًا مهمًا يُعبر عن الأصوات المتعددة للشرق ويُسلط الضوء على التحديات التي تواجه الفرد في عالم متغير. إنها رواية تتجاوز الحـــــدود الجغرافيـــــة والثقافيـــــة، وتقـــــدم لنـــــا فهمًـــــا أعمـــــق للإنســـــانية.

# ملاحـــــق

## الطيب صالح :

اسمه الكامل؛ الطيب محمد صالح أحمد ولد في 12يوليو 1929 في إقليم مروي شمال السودان بقرية كَرْمَكول بالقرب من قرية دبة الفقراء؛ وهي إحدى قرى قبيلة الركابية التي ينتسب إليها .. ترتيبه الثالث في أسرته. سبقه أخوان لم يعيشا ولذاك سمي الطيب تفاؤلا بالصحة وطول العمر. تزوج الطيب صالح من سيدة بريطانية، فضلى اسمها (جولي)، وهي ربة بيت. ورزق بثلاث بنات هن: زينب وسارة وسميرة[1] .اما فيما يخص حياته المهنية فقد تنقل الطيب صالح بين عدة مواقع مهنية، له خبرة قصيرة في إدارة مدرسة، عمل الطيب صالح لسنوات طويلة من حياته في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية، وترقّى فيها حتى وصل إلى منصب مدير قسم الدراما، وبعد استقالته من البي بي سي عاد إلى السودان وعمل لفترة في الإذاعة السودانية، ثم هاجر إلى دولة قطر وعمل في وزارة إعلامها وكيلاً ومشرفاً على أجهزتها. عمل بعد ذلك مديراً إقليمياً بمنظمة اليونيسكو في باريس، وعمل ممثلاً لهذه المنظمة في الخليج العربي. ويمكن القول أن حالة الترحال والتنقل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أكسبته خبرة واسعة بأحوال الحياة والعالم وأهم من ذلك أحوال أمته وقضاياها وهو ما وظفه في كتاباته وأعماله الروائية وخاصة روايته العالمية موسم الهجرة إلى الشمال. توفي في الساعة التاسعة مساء يوم الثلاثاء 17 فيفري عام 2009 في لندن .

للطيب صالح العديد من الاعمال الادبية التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة وهي[2]:

---

1 محمد ، اسحق علي،الافراح والاتراح في روايات الطيب صالح المرجعية الثقافية وسؤال الثقافة السودانية،مجلة جيل الدراسات الادبية والفكرية،لبنان ،ع7 ،2015،ص 35 و 36.

2 ينظر : https://books-library.com/@Tayeb-Salih

❖ الروايات

- موسم الهجرة إلى الشمال عام 1966م.
- ضو البيت (بندر شاه): أحدوثة عن كون الأب ضحية لأبيه وإبنه
- عرس الزين عام 1969م
- مريود (الجزء الثاني من بندر شاه)، 1985م.

❖ أعمال أخرى

- نخلة على الجدول (قصة قصيرة).
- الأعمال الكاملة 1984م.
- دومة ود حامد: (مجموعة قصصية)، 1997م.
- منسي إنسان نادر على طريقته 2004م.
- المضيؤون كالنجوم من أعلام العرب والفرنجة، 2005م.
- للمدن تفرد وحديث –الشرق– 2005م.
- للمدن تفرد وحديث –الغرب– 2005م.
- في صحبة المتنبي ورفاقه 2005م.
- في رحاب الجنادرية وأصيلة 2005م.
- وطني السودان 2005م.
- ذكريات المواسم 2005م.
- خواطر الترحال 2005م.
- مقدمات 2009م:وهو عبارة كتاب من القطع المتوسط جمعت فيه مقدمات كتبها الطيب صالح لمؤلفات أدبية.

تعد رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" واحدة من أفضل مائة رواية في العالم. وقد حصلت على العديد من الجوائز. وقد نشرت لأول مرة في أواخر الستينات من القرن العشرين في بيروت.

كان الطيب صالح مسكونا ببيئته السودانية وعكس ذلك في رواياته وقصصه، فعالج بطريقة أدبية إيحائية إشكالية التعددية الإثنية والثقافية والصدام بين الحضارات، وخاصة في روايته الأشهر "موسم الهجرة إلى الشمال."

حصل على جوائز عديدة، منها إطلاق لقب "عبقري الأدب العربي" عليه، واعتبرت الأكاديمية العربية في دمشق روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" الرواية العربية الأفضل في القرن العشرين. وتمَّ عام 2010 إطلاق جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي، الذي تزامن مع الذكرى السنوية الأولى لوفاته.

**قيل عن الطيب صالح وروايته موسم الهجرة إلى الشمال :**

يقول حسن أبشر الطيب :" تعرض الطيب صالح للعديد من المواقف المحرجة بسبب جواز سفره السوداني. ولكن وعلى رغم كل هذه البهدلة يصرّ الطيب على التمسك بالجواز السوداني. ونحن نعلم جميعاً أن بإمكانه الحصول على جواز سفر من بلد آخر، وهو حق قانوني له بحكم صلاته في ذلك البلد، ولكن الطيب رفض حتى مجرد التفكير في أمر كهذا وهذا بالطبع هو الطيب صالح، العاشق لوطنه المشفق عليه والفخور به"[1].

ويقول جلال العشري : "الأديب أي أديب يكون أصيلا بمقدار ما يتمثل بيئته ، ويكون معاصراً بمقدار ما يعبر عن روح عصره ، وهاتان القيمتان الأصالة والمعاصرة هما الركيزتان المحوريتان اللتان يدور حولها أدب هذا الأديب .. الطيب صالح "[2].

1 الطيب،حسن أبشر،الطيب صالح دراسات نقدية،رياض الريس للكتب والنشر ،لبنان، ط1 ،2001،ص 83.

2 محمدية ،احمد سعيد و آخرون ،الطيب صالح عبقري الرواية العربية،دار العودة ،بيروت ،لبنان ،ط3 ،1984،ص 152.

يقول جابر عصفور عن الرواية: "لا أزال أذكر مشاعر الإعجاب الغامرة التي انتابتني عندما قرأت موسم الهجرة إلى الشمال للمرة الأولى، فقد كانت حدثا استثنائيا في تاريخ الرواية العربية، وانطلاقا في آفاق جسورة لإنطاق السكوت عنه في الثقافة العربية التي لا تزال تقليدية في مجملها، فموسم الهجرة إلى الشمال رواية بعيدة عن التقليد، أو التصنع، أو التزمت، أو الخوف"[1].

يقول رجاء النقاش " لم أصدق عيني وأنا التهم سطور هذه الرواية وأتنقل بين شخصياتها النارية العنيفة النابضة بالحياة ، وأتابع مواقفها الحارة المتفجرة ، وبناءها الفني الأصيل الجديد على الرواية العربية لم أتصور انني أقرأ رواية كتبها فنان عربي شاب ، ولم أتصور أن هذه الرواية الناضجة الفذة – فكراً وفناً . عمله الأول . لقد أخذتني الرواية بين سطورها في دوامة من السحر الفني والفكري ، وصعدت بي إلى مرتفعات عالية من الخيال الفني الروائي العظيم، وأطربتني طرباً حقيقياً بما فيها من غزارة شعرية رائعة "[2].

## ملخص الرواية :

تبدأ الرواية بمشهد عودة الراوي من أوروبا إلى قريته بعد أنهى دراسته هناك، والناس ملتفة حوله وهو يسرد لهم رحلته في أوروبا مظهرًا مشاعره نحو الوطن والقرية، والأهالي تسأله عن أوروبا وأهلها وعاداتهم والراوي يجيب عنها، ومن بين هذه الجموع كان هناك رجل غريب التزم الصمت وأثار انتباه الراوي، مما أثار الفضول في نفسه لمعرفة كل شيء عنه لاعتقاده أنه شخص يحمل أسرارًا كثيرة، وقد عرف من والده أنّ هذا الرجل هو

1 جابر عصفور – عندما نقرأ "موسم الهجرة إلى الشمال" ،05-06-2024 ،19:12،موقع الانطولوجيا، https://alantologia.com/blogs/18439/.

2 محمدية ،احمد سعيد و آخرون ،المرجع السابق،ص 78.

"مصطفى سعيد"، فبدأ الرواي يدعوه إلى بيته لمعرفة المزيد عنه، فيقرر مصطفى بعد إلحاح أن يحكي للرواية حكايته فيعود بالذاكرة ساردًا ما جرى معه.

ومصطفى سعيد هو شاب سوداني نشأ بداية حياته في السودان يتيم الأب، ثم قرر إكمال دراسته الثانوية في القاهرة تاركًا أمه وحدها في بلدته، وفي القاهرة احتضنته عائلة السيد روبنسون، وبعد أن أنهى دراسته تم قبوله في جامعة لندن، فسافر إلى هناك ليرى وجهًا آخر من العالم وتبدأ المقارنات بين الشرق والغرب، ويصبح مصطفى سعيدًا متشربًا للعادات الغربية وتكون هوايته تصيّد النساء.

يُقدم مصطفى سعيد على قتل إحدى النساء اللواتي تعرف عليهن وهي "جين موريس"، كما يتهم بأنه السبب وراء انتحار أخريات فيُحكَم عليه بالسجن مدة سبع سنوات، وبعد انتهاء المدة يعود إلى وطنه السودان.

يعود مصطفى سعيد إلى قريته في قلب السودان ، ليشتري بضعة أفدنة هناك ، ويعمل فيها بنفسه ويتزوج من حسنة بنت محمود وينجب منها ولدين ، ويواصل حياته الجديدة بطريقة منتجة هادئة ، لم يعرفها من قبل في انكلترا حيث عاش هناك حياة عاصفة مؤلمة ، ويصبح رجلًا محافظًا لا يختلط مع الناس، وتبقى قصته عالقة في ذهن الراوي، حتى يسمع خبر وفاته بعد أن سقط في النهر، تاركًا رسالة للراوي بأن يعتني بزوجته وأولاده، فيبقى تفكير الراوي متمحورًا حول مصطفى وعائلته، وبعد وفاة مصطفى يسعى ود الريس المعروف بسيرته وسمعته السيئة إلى الزواج من أرملته التي لا تريده، وينجح في ذلك لكنها تقتله ثم تقتل نفسها،، فيشعر الراوي بالندم الشديد لعدم اهتمامه بها.

## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

## قائمة المصادر :

1. صالح ،الطيب، موسم الهجرة إلى الشمال ،دار العودة ، بيروت،ط 14، 1987.

## قائمة المراجع:

1. إبراهيم، مصطفى وآخرون :المعجم الوسيط، ،المكتبة الاسلامية، اسطنبول، تركيا،(د.ط)، (د.ت).
2. الأصبهاني، أبِي الشيخ، كتاب الأمثال في الحديث النبوي،تح عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية – بومباي – الهند،ط2 ،1987.
3. الجاحظ ،ابو عثمان عمر بن بحر،البيان والتبيين ،تح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ج1 ، ط7 ،1998 .
4. الجاحظ ، ابو عثمان عمر بن بحر،البيان والتبيين ، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ج2،ط7 ،1998.
5. حسين،فهد ،مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية ،بيت الغشام للصحافة و النشر والترجمة،سلطنة عمان ،ط1 ،2016.
6. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تح عبدالله محمد الدويش. دار يعرب ، دمشق،سوريا، ج1 ،ط1، 2004م .
7. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن ، جمهرة اللغة ،تح رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين،بيروت–لبنان ج1 ،ط1 ،1987 .
8. رضا ،احمد ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة – بيروت ،م1،(د.ط)،1958 .
9. زيادة ، معن ، معالم على تحديث الفكر العربي،عالم المعرفة ،الكويت ، (د.ط) ،1987.
10. ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم،تح عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ج6،ط1 ،2000.

11. شوقي،احمد، الشوقيات ، مؤسسة هنداوي ، مصر ،( د.ط) ،2012 .
12. الطيب،حسن أبشر،الطيب صالح دراسات نقدية،رياض الريس للكتب والنشر ،لبنان، ط1 ،2001.
13. عارف ، نصر محمد ،الحضارة–الثقافة–المدنية ،دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،فيرجينيا،الولايات المتحدة الامريكية ،ط2 ،1994.
14. العباسي ، محمد سعيد ،ديوان العباسي ،دار الفكر العربي، مصر ،(د.ط) ، (د.ت) .
15. الغامدي، سعيد بن ناصر ، المرجعية في المفهوم و المآلات، مركز صناعة الفكر للدراسات و الابحاث ،بيروت– لبنان،(د.ط)، ،2015.
16. الفارابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب ،تح أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة،ج2، ط1 ،2003 .
17. الفيروزابادي، محي الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط،، تح انس محمد الشامي و زكريا جابر احمد ، دار الحديث،مصر، (د.ط) ،2008 .
18. قبش ، احمد ، مجمع الحكم و الامثال في الشعر العربي ، دار الرشيد ، لبنان، ط3 ، 1985 .
19. محمدية ،احمد سعيد و آخرون ،الطيب صالح عبقري الرواية العربية،دار العودة ،بيروت ،لبنان ،ط3 ،1984.
20. مختار،احمد، و آخرون ،معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ،ج2 ،ط1 ،2008.
21. مرتاض،عبد المالك ،نظرية النص الأدبي ،دار هومة ،الجزائر ،ط2 ،2010
22. المسيري، عبد الوهاب ،العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ،دار الشروق، القاهرة– مصر ،م2،ط2002،1.

23. ابن منظور ، لسان العرب ، تص أميم محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي،بيروت ، لبنان،ج5،ط3 ،1999 .
24. ابو نواس ،الحسن بن هاني ، ديوان ابي نواس الحسن بن هاني ،تح احمد عبد المجيد الغزالي،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، (د.ط) ، (د.ت) .
25. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب،نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ج3 ،(د.ط) ،1924 .

**المراجع المترجمة:**

1. أيزابرجر،أرثر،النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ،تر وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي ،المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة مصر،ط1، 2003.
2. باشا، سلاطين،السيف والنار في السودان ،تر محمد المصطفى حسن،دار عزة للنشر والتوزيع،الخرطوم،السودان ،ط2016،2.
3. شارودو، باتريك ،دومنيك مانغنو ،معجم تحليل الخطاب ،تر عبد القادر المهيري–حمادي صمود ،المركز الوطني للترجمة،تونس ،(د.ط) ،2008.
4. فشر ،هربرت ،تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789–1950)،تر أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع ،دار المعارف –القاهرة،ط8 ،1984.
5. كوش ،دنيس ،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،تر منير السعيداني ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت–لبنان ،ط1 ،2007.
6. كولينز،روبيرت،تاريخ السودان الحديث،تر مصطفى مجدي الجمّال،مكتبة الاسرة، مصر، (د.ط) ،2015 .
7. ابن نبي ، مالك ، مشكلات الحضارة: شروط النهضة ،تر عبد الصبور شاهين ، ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،لبنان، (د.ط) ،2012 .

**المجلات:**

1. بعزيز، سلاف ، التأصيل النظري لمصطلح "المرجعية" في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع 8 ، 2015 .

2. بوكرت،أمال ،المرجعيات الثقافيّة في روايات' عز الدين جلاوجي" نماذج مختارة،المدونة مجلّة علمية، كلية الآداب واللغات،جامعة البليدة 2،ع2، 2023.
3. خلوفة ،نعبد العزيز، نظرية الادب عند محمد مندور ، مجلة جيل الدراسات الادبية و الفكرية ،لبنان،ع 1،2013 .
4. سرحان، ابو بكر،الحروب البونية بين روما وقرطاجة 146 – 264 ( ق.م).أسبابها – أحداثها –نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها،مجلة الدراسات الأفريقية،جامعة القاهرة،ع35 ،2013.
5. محمد ، اسحق علي،الافراح والاتراح في روايات الطيب صالح المرجعية الثقافية وسؤال الثقافة السودانية،مجلة جيل الدراسات الادبية والفكرية،لبنان ،ع7 ،2015.
6. محمد، اسحق علي،العلامات اللغوية والمرجعية الثقافية في روايات الطيب صالح،مجلة كلية التربية،جامعة واسط،العراق،ع17 ،2014.
7. ولد أباه،عبد الله السيد، التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور :الهوية السردية والذاكرة الحية، مجلة يتفكرون،الرباط،ع2014،3.

**الرسائل الجامعية:**

1. الكعبي ،عفيفة منادي ، المرجعية الثقافية في الخطاب الروائي في قطر روايتا (غصن أعوج )و(شو ) Shu لأحمد عبدالملك – أنموذجًا،مذكرة ماجستير،جامعة قطر،كلية الآداب والعلوم

**المواقع الالكترونية :**

1. جابر عصفور – عندما نقرأ "موسم الهجرة إلى الشمال" ،05-06-2024 ،19:12،موقع الانطولوجيا ،https://alantologia.com/blogs/18439 /.
2. عجب الفيا،عبد المنعم، نساء فلاندرز والجبهة الغربية في الحرب العالمية الأولى،02-05-2024 ،17:00،موقع سودانايل،https://sudanile.com /
3. عجب الفيا، عبد المنعم ، التناصص في رواية (موسَمِ الهِجْرةِ إلى الشّمَال): واقعة أسر محمود ود أحمد نموذجاً،12-05-2024،00:06، موقع سودانايل ./https://sudanile.com

4. عجب الفيا،عبد المنعم، ترجمة أبيات الشعر في "موسم الهجرة إلى الشمال،06-05-2024 ،22:08، موقع سودانايل ،https://sudanile.com /

## المحتويات

الفصل الأول : مفهوم المرجعية الثقافية و أنواعها .....4

مفهوم المرجعية الثقافية : .....5

1 – مفهوم المرجعية : .....5

1– 1– المرجعية لغةً : .....5

1–2– المرجعية اصطلاحاً : .....7

2– تعريف الثقافة : .....8

2–1– الثقافة لغـــة : .....9

2–2– الثقافة اصطلاحاً : .....10

3–المرجعية الثقافية : .....11

4–أنواع المرجعيات الثقافية .....13

4–2–المرجعية الدينية : .....14

4–3–المرجعية الاجتماعية : .....15

4–4–المرجعية الأدبية ( التراث الادبي) : .....16

4–5–المرجعية الفلسفية :.....17

4–6–المرجعية الاسطورية :.....17

**4-7-المرجعية النفسية :** ..... 19

**الفصل الثاني : أنواع المرجعيات الثقافية في رواية " موسم الهجرة إلى الشمال "** ... 21

**1-المرجعية الدينية :** ..... 22

**2-المرجعية التاريخية:** ..... 28

**3-المرجعية الأدبية ( التراث الأدبي ) :** ..... 35

**4-المرجعية الإجتماعية :** ..... 44

**5-المرجعية النفسية :** ..... 55

**خاتمة :** ..... 57

**ملاحـــق** ..... 59

**الطيب صالح :** ..... 59

**قيل عن الطيب صالح وروايته موسم الهجرة إلى الشمال :** ..... 61

**ملخص الرواية :** ..... 62

**قائمة المصادر والمراجع** ..... 64

**ملخص :**

تساعد المرجعيات الثقافية على فهم النص واكتشاف الأبعاد الخفية التي تربط الإنسان بتاريخه وثقافته و هويته ،ولقد حاولت في بحثي هذا رصد كل المرجعيات الثقافية الممكنة في رواية " موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح ، حيث أظهر الطيب صالح مدى براعته في توظيف هذه المرجعيات في روايته مسلطاً الضوء على الصراع الثقافي بين الشرق والغرب .

**الكلمات المفتاحية :** المرجعية ، الثقافة ،المرجعيات الثقافية

## Summary:

Cultural references aid in understanding the text and uncovering the hidden dimensions that connect a person to their history, culture, and identity. In my research, I have attempted to identify all possible cultural references in Al-Tayeb Salih's novel 'Season of Migration to the North' where Salih demonstrates his skill in employing these Cultural references to highlight the cultural conflict between the East and the West.

**The key words :** The reference ,The culture ,The Cultural references